



جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

التَّحْيِيزُ فِي السَّيْنَمَا الْأَمْرِيكِيَّةِ ضِدَّ الْعَرَبِ فَلْمَا قَنَاصِ أَمْرِيكِي وَالحَرْسِ الْقَدِيمِ أَنْمُودْجَا

إعداد

عرين يوسف عبد الكريم سلامة

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

التَّحْيِيزُ فِي السَّيْنَمَا الْأَمْرِيكِيَّةِ ضِدَّ الْعَرَبِ
فَلْمَا قَنَاصَ أَمْرِيكِي وَالحَرْسَ الْقَدِيمَ أُنْمُوذَجَا

إعداد

عربن يوسف عبد الكريم سلامة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2024/11/21، وأجيزت:

عبدان
التوقيع
نسيم بني عودة
التوقيع
نادر قاسم
التوقيع

د. عدوان عدوان
المشرف الرئيسي
د. نسيم بني عودة
الممتحن الخارجي
د. نادر قاسم
الممتحن الداخلي

الإهداء

إلى من أكرمني الله ولا زال يكرمني لأجلهما.. إلى اللذين ربباني صغيراً.. إلى فخري أمي و أبي

العزیزین رضي الله عنهما وأرضاهما.

إلى الكتف الثابت أنيسي ومؤنسي وأنسي إلى من يداريني بهذب عينه إلى النبيل زوجي الحبيب علاء

موسى.

إلى من يهون عمري بحلوه و مره لأجل ضحكة ثغره و لمعة عيونهم. إلى امتدادي على الأرض أبنائي

حفظهم الله ورعاهم.....جوانا، حاتم، أضاليا.

إلى أم زوجي الحنون المعطاءة.

إلى أخواتي وأخوتي مصدر قوتي الذين غمروني بحبهم ودعائهم لي.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله....

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، الحمد لله ملء السماوات والأرضين، الحمد والشكر أولاً وأخيراً لله عز وجل الذي يسر الصعاب وهيا الأسباب، وما خاب من توكل على الله.

أتقدم بأسمى معاني الشكر والامتنان والعرفان لمشرفي الدكتور عدوان نمر عدوان الذي لم يتوان لحظة في مساعدتي والإجابة عن أسئلتني فأحاطني بعنايتها وكان سراجاً منيراً معطاءً، فأشكره على وقته الثمين

ونصائحه التي زادت من قيمة بحثي وهذبته، فجزاه الله عني كل خير، ودام قامة علمية تنهل منه الأجيال القادمة.

وأتوجه بخالص الامتنان لجميع أساتذتي ودكاترتي الجامعيين طيلة فترة دراستي.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة، على تفضلهم بمناقشة أطروحتي.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

التَّحْيِزُ فِي السِّينَمَا الْأَمْرِيكِيَّةِ ضِدَّ الْعَرَبِ فَلَمَّا قَنَاصَ أَمْرِيكِي وَالْحَرَسَ الْقَدِيمَ أَنْمُودَجَا

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي
أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: عزينة يوسف عبدالكريم هادي

التوقيع: عزينة هادي

التاريخ: 11/11/2024م

فهرس المحتويات

ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	الملخص
1	المقدمة
2	أسباب اختيار العنوان
2	منهج الدراسة
2	الدراسات السابقة
4	أسئلة الدراسة
4	مشكلة الدراسة
4	صعوبات الدراسة
5	برنامج الدراسة
6	التمهيد
16	الفصل الأول: التحيز في الأبعاد والمجالات المتعددة
16	المجال الاقتصادي
22	المجال الديني
26	المجال السياسي
32	المجال الفكري
39	المجال اللغوي
46	في مجال السينما
54	المجال الثقافي

69	الفصل الثاني: التحيزات وأشكالها المرئية واللفظية في فيلمي قناص أمريكي و الحرس القديم.....
69	بطاقة فيلمية: قناص أمريكي.....
107	بطاقة فيلمية: الحرس القديم.....
119	الخاتمة والتوصيات.....
120	المراجع العلمية.....
b	Abstract.....

التَّحْيِزُ فِي السِّينِمَا الْأَمْرِيكِيَّةِ ضِدَّ الْعَرَبِ فَلَمَّا قَنَاصَ أَمْرِيكِيَّيَ وَالْحَرَسَ الْقَدِيمَ أَنْمُودَجَا

إعداد

عرين يوسف عبد الكريم سلامة

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم التحيز لغةً واصطلاحًا، والكشف عن أهدافه وآلياته وتوضيح مجالاته وانعكساتها على حياتنا اليومية ومدى تأثيرها على المجتمعات كافة، ثم ركزت على صورة التحيزات وأشكالها المرئية واللفظية في فيلمي قناص أمريكي والحرس القديم أنموذجًا.

وتظهر أهمية الدراسة في الإبانة عما يقدمه الغرب من أفلام في باطنها تحيز ضد العرب والمسلمين. كونت الباحثة الرسالة من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، بينت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع، وطرحت أهم الأسئلة التي ستجيب عنها، كذلك وضحت أهمية الدراسة، وقدمت موجزًا عن الفيلمين: (قناص أمريكي والحرس القديم)، موضحةً منهج الدراسة وأهم المصادر والتوصيات.

فخصصت الباحثة التمهيد لعرض مفهوم التحيز لغةً واصطلاحًا وتناولت أشكاله وأسبابه. والفصل الأول تناولت الباحثة مجالات التحيز بالتفصيل (اقتصاديًا، دينيًا، سياسيًا، فكريًا، لغويًا، سينمائيًا، ثقافيًا) فكشفت عن كل مجال، وأوجدت طرائق لتفادي التحيز، والحد منه. والفصل الثاني: عرضت الباحثة للمشاهد المرئية واللفظية في فيلمي قناص أمريكي والحرس القديم، موضحةً أشكال التحيز وصوره. تأتي النتائج في نهاية الدراسة، لتلخص الباحثة أهم التوصيات وتفتح بابًا مطولًا للباحثين.

الكلمات المفتاحية: التحيز ضد العرب، السينما الأمريكية، تحليل الأفلام، الصور النمطية، التحيز، الدراسات الثقافية، دراسات الإعلام، الشرق الأوسط.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

إنَّ الثورة الحديثة والتطور المتسارع في مناحي الحياة كافة، إضافةً لتمرکز الغرب حول ذاته، ونظرته الأحادية إلى العالم على اعتبار أنه هامش وموضوع استعمالي، جعلت من العالم العربي والعالم الثالث فريسةً ينقض عليها مستخدمًا الجانب الثقافي والسينمائي الذي هو من أهم الجوانب وأخطرها، إذ يتجلى من خلاله زرع أفكار، وفرض قيم وثقافات بصورة مثالية جذابة قادرة على إقناع المشاهد والتحكم به، والتلاعب بلاوعيه عن طريق الصورة والفيلم وجعله مادة استهلاكية، فيلهث خلف الإنتاج والاستهلاك والرغبة.

والجدير بالذكر أن الحرب الغربية على العالم العربي والإسلامي لها شكلان: الشكل العسكري الفج المعروف والشكل المعرفي المعلوماتي (القوى الناعمة) المتحايل الموجه لزعزعة الإيمان والمبادئ، وكلا الشكلين من حيث المستوى أمرٌ من بعضهما بعضا.

فضلاً عن الآلة العسكرية الغربية الجرارة يهتم الغرب بالجانب السينمائي وعرض الأفلام والإعلام والثقافة الناعمة أو الثقافة السائلة كما يقول المفكر البولندي (زيجمونت باومان) كونها أكثر تحايلاً في إظهار الوجه الحسن، ومن تحت قناعه وجهٌ أشد فتكاً وتأثيراً.

وتكمن المشكلة في أن العالم العربي أصبح ينهل مما ينتجه الغرب من ثقافات متنوعة، وأيدلوجيات متعددة وكأنه يغترف من بحر متجاوزاً المصفاة الذهنية لما يطرح عليه من نماذج معرفية مخالفة لما يؤمن به، ولا سيما في عصر العولمة وتمدد السوق وتحويل البشرية إلى منتجات للبيع والشراء.

وفي معرض الحديث عن السينما الغربية، كان لا بد من الوقوف مطولاً عند الأفلام الأمريكية لما فيها من تحيزات مرئية ولفظية مباشرة وغير مباشرة ضد الإنسان غير الأبيض عامة وضد العربي والمسلم

خاصة، لهذا كان لزاماً علينا توجيه المشاهد والقارئ العربي لإدراك هذه التحيزات وآلياتها كي يسهل التصدي لها.

أسباب اختيار العنوان

اختارت الباحثة عنوان: ” التحيز في السينما الأمريكية ضد العرب فلما قنص أمريكي والحرس القديم أنموذجاً“ لعدة أسباب، أهمها:

أولاً: رغبة الباحثة في الكشف عن مقاصد الغرب الحقيقية، من خلال ما ينتجه من أفلام نراها بريئة في ظاهرها، مخادعة في باطنها، خاصة أنها تقدم للفئات العمرية كافة.

ثانياً: دراسة الأفلام من مواضيع ما بعد الحداثة ملائمة لعصرنا، وتليق بمتطلباته التي أصبح الفيلم فيها ركناً ركيناً لا يمكن الاستغناء عنه.

ثالثاً: توضيح لآليات التحيز وأشكاله، وكيفية التعرف إليه من خلال تطبيقه على فلمين.

منهج الدراسة

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتناسبه مع الموضوع المدروس.

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: بحث بعنوان دلالات التمييز العنصري في السينما الأمريكية، دراسة سيميولوجية لفيلم “ 12 years a slave ” إعداد: عبد الرزاق جديلي من جامعة العربي تبسي _ الجزائر 2019، بإشراف: هارون نصر، هدف الدراسة: تسليط الضوء على دلالات التمييز العنصري وأهم أشكاله وهو العبودية من خلال توظيف منهجية التحليل السيميولوجي الذي يهتم بدراسة العلامات والدلائل.

و تختلف دراسة عبد الرازق جديلي عن دراسة الباحثة أن دراسته قدمت شكلاً من أشكال التمييز العنصري لفيلم "اثنا عشر عامًا في العبودية" وركزت على العبودية، أما دراسة الباحثة فتناولت التمييز العنصري كشكل صغير مُدرج ضمن دائرة كبيرة تسمى التحيز، فقد جاءت موسعة و تناولت أشكال التحيز المرئية واللفظية في فيلمين مختلفين هما: "قناص أمريكي والحرس القديم" أنموذجًا.

الدراسة الثانية: بحث بعنوان الصورة النمطية للمسلم في السينما الغربية، السينما الأمريكية أنموذجًا. إعداد: رؤى علي صالح أبو عاصي من جامعة القدس_فلسطين 2018، إشراف: د.أحمد رفيق عوض، هدف الدراسة: تسليط الضوء على أنماط صناعة الصور المُقولة وسياستها والخطر الحقيقي الناتج عن تشويهها بشكل مُتعمد، من خلال الكشف عن الصور النمطية للمسلم في السينما الأمريكية منذ الغزو الأمريكي على أفغانستان والعراق (2001_2018) باختيار أفلام مُختارة.

وتختلف دراسة الباحثة عن هذه الدراسة بأن الثانية تناولت الصورة النمطية للمسلم وأدرجت فيلم قناص أمريكي ضمن الأفلام المُختارة ودرسته بشكلٍ سريع في صفحتين تقريبًا، بينما جاءت دراسة الباحثة مُفصّلة عميقة لجميع أشكال التحيز مركزةً على التحيز الثقافي واللغوي للفيلم بكل زواياه وأطره، إضافةً لفيلم الحرس القديم.

اعتمدت الباحثة في بحثها على دراسات وكتب، مثل: كتاب إشكالية التحيز لعبد الوهاب المسيري، دراسة الصورة المتحيزة (التحيز في المونتاج السينمائي) لخالد المحمود، كتاب الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية لجاك شاهين، كتاب الرسالة السياسية لهوليوود تفكيك الفيلم الأمريكي لإبراهيم علوش، إضافةً للعديد من المراجع والمعاجم وغيرها.

أسئلة الدراسة

- ما هو التحيز؟ وما معناه الاصطلاحي واللغوي؟
- ما هي أشكال التحيزات؟ وما هي انعكاساتها على حياتنا؟
- كيف نتفادى الوقوع بفخ التحيزات؟
- ما هي صور التحيزات وأشكالها المرئية واللفظية الموجودة في فيلم American Sniper؟
- ما هي صور التحيزات وأشكالها المرئية واللفظية في فيلم The Old Guard؟ (مع التدليل من مقاطع الفيلم)

مشكلة الدراسة

- تدني روح الوعي عند متلقي الأفلام، فجاءت هذه الدراسة لتبين تحيزات فلمين أمريكيين، ظهر منها تحيزٌ واضح ضد العرب والمسلمين.
- عدم رسوخ المصطلحات الحديثة في ذهن مُتلقى الأفلام من العرب، فجاءت الدراسة؛ لتبين هذه المصطلحات وتضعها في سياقاتها المناسبة، كالماسونية، والداروينية، والرأسمالية،..

صعوبات الدراسة

- قلة الكتب والدراسات التي تُعنى بالتحيز وإن وُجدت، تظهر مشكلة إمكانية الحصول عليها.
- أحداث وسيناريو الفيلمين الطويلة التي يتوجب على الباحثة ملاحظة تفاصيلهما الدقيقة والوقوف على المشهد الواحد عدة مرات لاستيعابه وتحليله.
- من غير المعتاد أن تتم دراسة الأفلام وتحليلها في قسم اللغة العربية، خاصةً أنه لم تُقدم مساقات تدرس مثل هذا الموضوع؛ نظرًا لحدائته.

منهجية الدراسة

تتكون الدراسة من فصلين أساسيين، تبدأ بمقدمة، ثم أسباب اختيار العنوان (التحيز اللغوي والثقافي في السينما الأمريكية ضد العرب، فلما قناص أمريكي والحرس القديم أنموذجاً) ومنهج الدراسة والدراسات السابقة واختلافها عن دراسة الباحثة، و تناولت مشكلة الدراسة وصعوباتها، ثم تمهيداً يعرض التحيز وتعريفاته وآلياته، والتحيز في الإعلام، يتبعه التعريف بالفيلمين ونبذة عنهما، يأتي بعدها الفصل الأول بعنوان: (التحيز في الأبعاد والمجالات المتعددة) ويشكل الإطار النظري فيدرس مواضع التحيز في مجالات الحياة: المجال الاقتصادي، والمجال الديني، والمجال السياسي، والمجال الفكري، والمجال اللغوي، وفي مجال السينما، والمجال الثقافي.

أما الفصل الثاني بعنوان: (التحيزات وأشكالها المرئية واللفظية في فيلمي قناص أمريكي والحرس القديم) يعرض بطاقة فيلمية لفيلم قناص أمريكي، ثم يكشف عن التحيزات المرئية واللفظية في الفيلم، ثم يعرض بطاقة فيلمية لفيلم الحرس القديم، ثم يكشف عن التحيزات المرئية واللفظية في الفيلم. فالباحثة تأتي بالمشهد وتشرح الموقف وتعلق عليه، وأخيراً ختمت الباحثة الدراسة بأهم النتائج: 1- يخلق التحيز أزمة يدفع ثمنها الفرد والمجتمع معاً، لما فيها من جمود العقل. 2- تضخيم صورة الغربي الأمريكي وتمييطه بصورة المتحضر المخلص الذي يقود العالم نحو النور والانفتاح والتحرر.

كلمة شكر وعرفان لا بدُّ منها، للدكتور المشرف د. عدوان نمر عدوان الذي تفضلَّ بقبول الإشراف على رسالتي، لقد كنت خير معين، فبمتابعتك الدؤوبة شحذت هممي وجعلتني أقدم لا أخشى السقوط أو القنوط، كنتُ أسألك سؤالاً وكننتَ تعود لي بإجابات منمهرة، تفتتح مغاليق فكري ويتوقدُ ذهني بعدها، فرضي الله عنك وأرضاك، ورزقك العافية و المُعافاة في الدنيا والآخرة، و بورك المرود وتوالت الإنجازات وطاب الثمر.

التمهيد

من منطلق أهمية فهمنا للتحيز، كان لا بد من التعرف إليه (لغةً واصطلاحاً): في لسان العرب جاءت حيز من الحوزُ والحيزُ والتحيزُ والتحوزُ والانحياز وفيها معنى الميل والانضمام "انحاز القوم: تركوا مركزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر أي انضموا،... وحاز الإبل ساقها سوقاً رويداً وضمها إليه، والتحيزُ التلوي والتقلب... والتحوزُ عدم الاستقرار، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال:16]، أي متحياً ومائلاً ومتخذاً فئة دون غيرها. ويقال تحوزت الحيّة وتحيزت أي تلوت". (ابن منظور، 2003، مادة حوز) مالت وتحركت.

والحيزُ "بوزن الهين ما انضم إلى الدار،.. وانحاز عنه: عدلَ، وانحاز القوم تركوا مركزهم إلى آخر". (الرازي، 1953، صفحة 162/مادة حوز).

ويُقال فلان متحيز في الحرب؛ بمعنى انضم إلى قوم آخرين....انحاز القوم وانحاز الرجل، أي تركوا مراكزهم إلى موضع آخر (بن عباد، 1994، صفحة 170).

ولا شك أن تعريف المصطلح لغةً له علاقة وطيدة بتعريفه اصطلاحاً، فالتحيز اصطلاحاً: هو وجود مجموعة من القيم والأساليب المستترة في النماذج المعرفية والبحثية والتي توجه الباحث للتحيز لها بشكل لا إرادي؛ بحيث لا يستطيع التخلص منها بشكل قطعي (المسيري، 1997، صفحة 5).

وتعريف آخر: "هو نمط من التفكير المترفع الذي ينغلق على الذات، ويحصر نفسه في منهج معين، ينحسب فيه ولا يقارب الأشياء إلا عبر رؤيته ومقولاته، ويوظف كل المعطيات من أجل تأكيد صحة المقولات." (إبراهيم، 2004، صفحة 15).

وهذا يعني أن التحيز مرتبط بما هو قوي ومتمكن، وينتصر لقناعاته، متعاميًا عن النظر إلى عدالته وارتباطه بالقيم والأخلاق الإنسانية الرفيعة، وبما معناه فهو تحيز امبريالي¹ استعلائي، ويعتمد على بُعدين أساسيين: بعد الأنا الذي يرتكز على التكوين الثقافي الخاص وقوته التي يفرضها، والبعد الثاني هو ما يخص استعلاء الذات، والتكبر، وتحقير الآخر (جمعة، 2019، صفحة 16).

والصحيح أن التحيز كفعل لا يمكن وصفه بالإيجابي أو السلبي، فهو نسبي يختلف من فرد لآخر وثقافة وغيرها وحضارة وسواها وبيئةٍ وأخرى، فالذي يرى أن تحيزه إيجابيًا ويشاركه البعض في تلك الرؤية قد يراه غيرهم سلبيًا، وكلٌ منهم لديه مسوغاته التي يؤمن بها ومبرراته، فالفرد قد ينحاز لشخصه وفكره ومعتقداته، ومن الممكن أن ينحاز للآخر على حساب شخصه وحضارته وهذا واردٌ فعلًا عند الأمم المنكسرة التابعة لغيرها، وعند الحضارات التي ارتدت وتخلت عن ثقافتها الأصلية ووجدت نقصًا في نفسها (المحمود، 2011، صفحة 21).

فقضية التحيز تشكل هاجسًا مخيفًا للمواطن الذي يعيش في دول العالم الثالث، فقد كابد وذاق ويلات الاستعمار الغربي وما نجم عنه من نماذج غريبة تُفرض نفسها بالقوة الظاهرة أو الباطنة وما كان منه إلا أن يتبنى ثقافتهم وأفكارهم ومعتقداتهم الغربية وإن كانت على حساب نفسه فهو لا يعيها جيدًا، ولكن المثقف الواعي بفكرة التحيز أشدُّ تأثرًا وإيلامًا من غيره يُدرك جيدًا النوايا الخفية وراء النماذج الغربية محاولًا التصدي لها.

كذلك النتائج التي يتم التوصل إليها عن طريق أدوات التحيز ليست صالحة لكل زمانٍ ومكان، لكنها متحيزة ضمن إطارين اجتماعي وزماني محددين؛ لذا هي ليست مطلقة أو عامة، فالإنسان ككائن بشري مجبولٌ على التحيز بحكم عوامل عديدة، مثل: الدين، والتاريخ، والحضارة، والثقافة، والتراث، واللاوعي... ويشمل تقريبًا كل مجال للإنسان فيه رؤى أو وجهة نظر وخاصة في مجال العلوم الإنسانية باختلاف أنواعها. (المسيري، 1997، صفحة 619).

¹ امبريالية وتعني إرادة بلد ما الهيمنة على بلد أو بلدان أخرى وفرض آلياته وسياسياته على حساب مصالح الآخرين ينظر: (سيبلا و الهرموزي، 2017، صفحة 61).

وقد يكون التحيز عبارة عن اتجاه أيديولوجي¹ زائف و مُتلون ناجم عن حكم غير ناضج نتيجة تسرع أو عدم إدراك، وقد ينتج هذا الإتجاه عن عمى حقيقي مُتعمد للمعارف والشواهد (الشجيري، 2018، صفحة 43).

تعرفه الباحثة بأنه عملية تبني لما يتم استحدثاته واستكشافه من علوم وأفكار ومناهج، والتسليم دونما أي اجتهاد مع انحياز كامل متكامل لها، وإن كانت تخالف بعض المبادئ، فيصبح تغيير العقل وتكييفه أخف وطأة من البحث في هذه الأفكار ودراسة جدواها؛ وقد يرجع ذلك لارتباطها الوثيق في اللاوعي الإنساني، الذي نشأ وترعرع الإنسان عليه منذ نعومة أظفاره.

مع هذا لا تقصد الباحثة الاستسلام ولا تبرر للخنوع لكل ما هو جديد؛ بل إن محاولات البحث والتمحيص وإشغال العقل هي أهم الوسائل التي يتم من خلالها مواجهة التحيز الذي يلتصق في هذا العالم التصاق الرضيع بأمه، بكل أشكاله ومضامينه.

وأكثر مَنْ سلط الضوء على هذا المصطلح، ووجه أنظار العالم العربي إليه، وفهم الحيلة هو الكاتب والمفكر عبد الوهاب المسيري، وأشار إلى عدد من المفكرين المصريين الذين تحدثوا عن التحيز، مثل: جلال أمين، وطارق البشري، وسيد دسوقي وأخيراً إبراهيم بيومي غانم، بالإضافة إلى الكاتب السعودي عبد الله البريدي، والغريب في الأمر أن هناك العديد ممن تطرقوا لموضوع التحيز، سواءً أكانوا عرباً أم غرباً كأمثال إدوارد سعيد، وزيجمونت باومان، تزفيتان تودوروف، وناعوم تشومسكي، وغيرهم ولكنهم بصورة أساسية لم يولوه عناية خاصة ولم يركزوا عليه كمصطلح أو فقه أساسي يقوم عليه العالم بأسره، كذلك لم يجعلوا المنلقي في حالة ذهول واطلاع مما يحدث حوله من أبسط الأشياء إلى أعظمها، وأن مردها هو التحيز القائم والذي ما زال يسرح ويمرح بيننا كالهواء.

¹ الأيدلوجيا: هي علم الأفكار، نمط تفكير أو نسق فكري أو اجتماعي وسياسي واقتصادي وفلسفي وثقافي، أو هي مجموع الرؤى والقيم المشتركة. ينظر، (سببلا و الهرموزي، 2017، صفحة 29).

وهناك خياران في تعامل المفكرين العرب مع مصطلح التحيز أولهما: أنهم لم يكونوا على دراية به مصطلحًا وسياسة، وثانيهما لم يشأ الواحد منهم تسليط الأنظار عليه؛ وذلك ليبقى المتلقي مشغولاً بأشياء وموضوعات أخرى يملئها عليه الأدب من كتاب ورواة وأحياناً الدولة، وتفضل الباحثة الخيار الأول عن الثاني، كون الكتاب والأدباء والنقاد في مجملهم مرآة لمجتمعاتهم، ويكتبون عما يحيط بهم من معاناة أو فرح أو يأس وغيرها من الموضوعات التي تثير القراء، فمن البعيد أن يكونوا على دراية تامة بفقته التحيز ومآلاته ولم يوجهوا أنظار المثقفين إليه لتفاديه أو التصدي له.

ومما لا ريب فيه أن هوية الأمة في تدهورٍ خطير؛ ذلك لتبنيها نماذج ورؤى الآخر، دون إدراك عميق للآثار الجانبية المتنامية لتتبع النماذج الغربية (المسيري، 1997، صفحة 5).

وقد يكون التحيز جزئياً، كأنما يُعجَبُ مهندسٌ عربيٌّ بالتصاميم المنزلية الغربية، فلا يتبنى الرؤية جميعها؛ بل يتبنى تصاميم معينة مضافاً إليها بعضاً من اللمسات الشرقية التي تُعبّر عن تراثه وحضارته، فهو ينظر للعالم برؤية منفردة واثقة، وليس كتابع مُقلّد.

ومن المدهش فعلاً أن التبعية الفكرية والثقافية للغرب والانصياع له أصبحت تُسمى بمصطلحات عميقة كالانتماء للعصر الحديث أو التقدمية الموضوعية (المسيري، 1997، صفحة 37) أو الحداثة واللاحق بالركب.

فيحلّ النموذج المادي النفعي، ويصبح الإنسان جزءاً لا يتجزأ من النظام الطبيعي ويتسامى مع الكون وغيره من المخلوقات حتى مع الإله بصرف النظر أنه خلق هذا العالم والتفت بعيداً، أم أن العالم وُجد صدفة، دون الإلتفات حقاً لعظمة الخالق ومركزيته وقداسته في الدين الإسلامي وغيره، فالمادة هي الأساس.

وهذا يجعلنا نستحضر قصة المصور "كيفن كارتر" (ar.wikipedia.org/wiki/) الذي ذهب إلى السودان فسمع صوت أنين طفلة فاقترب فإذا بها تزحف إلى مركز لتوزيع الطعام وهي في حالة كئيبة

تثن من التعب والجوع القاهر، فيقوم "كارتر" بإمساك كاميرته لينتقط للطفلة صورةً بعدما حطَّ نسرٌ ضخم بجانب الطفلة وانتظره مرارًا حتى يفرّد جناحية لينتقط صورةً إبداعية، لكن النسر لم يفعل، غادر المصور ليبيع الصورة لصحيفة نيويورك تايمز وبالفعل لقد نال على إثرها جائزة عالمية في التصوير الصحفي، ولكنّه بعد ثلاثة أشهرٍ مات مُنتحرًا.

فالمصور هنا تصرف بعيدًا عن طبيعته الإنسانية ورأى في منظر الطفلة مادة استعمالية تؤهله للفوز بجائزة ولو على حساب ضميره وإنسانيته اللذين تخلى عنهما، ولاحقاه حتى دخل في موجة اكتئاب جرّته للإنتحار. إنّ تجريد الإنسان البشري من بشريته وفطرته التي فطر الله بها عباده، وتغيير الخلقّة والتمييز العنصري، ونسف فكرة الموضوعية وتحويلها إلى حيادية أو مجرد وجهات نظر متعددة، هذا كله يقع تحت إطار التحيز والميلان في تبني النموذج الغربي بثقافته ولغته وإن كان ضد الذات.

وتُروج هذه الأفكار الغربية من خلال الإعلام الغربي وأجندته، فالتحيز في الإعلام ينطلق من فكرة مفادها أنه قد ينجح طرف مُتحيز في صراعٍ ما أن يقدم صورةً مخادعةً لمجرد أنه يؤيد أحد الطرفين المتصارعين بشكلٍ خفيٍّ أو علنيٍّ وقد يكون مستفيدًا أوليًا منه (يحقق مكاسب مادية شخصية)، ولكن عند الوهلة الأولى ينكشف التحيز الخفي ويظهر واضحًا للمشاهد (الشجيري، 2018، صفحة 37).

هذا نتلمسه في بعض القنوات الإعلامية عند تغطيتها لخبرٍ منقوص، أو نقل خبر عن طرف معين والتركيز عليه والتحيز له مع إظهار التضامن في المقابل هناك تغييب كامل للطرف الآخر وتقديم ما يجب أن يصل وليس الحقيقة والحياد.

ومما لا شك فيه أن هناك خللاً في القطاعات الإعلامية وتباينًا واضحًا بين دول متطورة وأخرى نامية، كامتلاك الدول الغنيّة أكثر من ثمانين بالمائة من وكالات الأنباء، وبت أكثر من تسعين بالمائة من نذبات البث الإذاعي (المصمودي، 1985، صفحة 9)، ويبدو أن التفاوت جعل الإعلام الغربي ذا سطوة مهيمنة مُبررة بامتلاكها لأدوات الإعلام.

فتمتًا في بدايات حرب السابع من أكتوبر (الحرب الفلسطينية مع الجانب الإسرائيلي في عام 2023م) بدأت الصحف الغربية تنقل الأخبار، فكتب أحد المحررين مقالًا ووضع له عنوانًا كبيرًا تصدر الصحيفة: "تواجه إسرائيل حربًا طويلة وصعبة بعد هجوم حماس من غزة" ويتبع العنوان بالتفاصيل فيكتب: اقتحم مئات المسلحين جنوب إسرائيل وقتلوا جنودًا ومدنيين واحتجزوا عددًا كبيرًا من الرهائن إلى غزة، ثم يرفق شهادة لأحد الناجين بأن المسلحين الفلسطينيين أعدموا مدنيين إسرائيليين بدم بارد في منازلهم، وجروا المدنيين من نساء وأطفال ومسنين ومُعاقين، أيضًا العسكريين على حدٍ سواء إلى غزة (Kirby, 2023).

فكلمة هجوم، مسلحون، وجروا، وأعدموا، وغيرها لها وقع صاعق عند القارئ فيذهل من هول الخبر، ويبدأ بتشكيل تحيزه للفتة المُستضعفة كما نقلها المُحرر.

كذلك في خضم الصراع تدعن أهم الصحف العالمية بتداول أخبارٍ على لسان الرئيس الأمريكي الذي بدوره اعتمد على رواية رئيس وزراء الجانب الإسرائيلي وهي في الأعم الأغلب غير دقيقة ما دامت غير موثقة ومبرهنة، فصرح أنه تم ذبح الأطفال الإسرائيليين وذبح عائلات بأكملها وإحراق جثث الأحياء واغتصاب النساء وفضائح أخرى قام بها مقاتلو حماس على غرار داعش، مع أن تقرير قطع رؤوس الأطفال الذي قدّمه مكتب رئيس الوزراء عدته الحكومة الإسرائيلية غير مقبول (Kessler, 2023).

وبناءً عليه فإن المتمعن حقًا بمجريات الأمور وبما تداولته الصحف والقنوات يجد حملات تضليل وتزييف اتبعتها وسائل الإعلام الإسرائيلي وحذت حذوها الدول الكبرى الصديقة ووسائل إعلامها حيث إنها تبنت بشكل كامل حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وأيدتها في حربها، ولم تتساءل البتة ما الذي دفع الفلسطينيين إلى ذلك ما الأسباب والمسوغات، هنا يظهر التحيز الكامل الممتكامل المدجج بالتمكين الغربي وسيادته.

فالساسة الأمريكية دائماً ما تكون في خدمة مصالح إسرائيل، حتى تدخلها في العراق كان لتسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، حيث الدعم الأمريكي الدائم على جميع المستويات واللا مشروط من الزعماء الأمريكيان على مدى العصور للحكومة الإسرائيلية، وإن نقد أحد سياسات الزعماء ومساندتهم للحكومة الإسرائيلية تكن الحجة جاهزة وهي اتهامهم بمعاداة السامية وهي من أكبر المؤاخذات المعيبة الشائعة في الوقت الحالي (تودوروف، 2006، صفحة 25).

وتعد الأفلام من آليات التحيز الفعالة تسير جنباً إلى جنب والحروب والسياسات العالمية، ومثلها أيضاً الإعلام من صحف وقنوات إخبارية، والإعلانات، والألعاب الرياضية، والبرامج التلفزيونية، كذلك الفضاء العمومي (هابرماس)¹.

إنّ ما يعزز أي قضية ويؤثر في الرأي العام عرضها على هيئة فيلم ودراما تستعطف الآخر، وتزور الحقائق إن لزم الأمر، ففي العدوان الأخير الذي يشنه الاحتلال الصهيوني على الأرض الفلسطينية، رأى أنه من اللازم التأثير في العالم وعض طرفه عن عمليات الإبادة والقتل والتكيل، وغيرها التي يرتكبها بحق الفلسطينيين، فبدأت دور السينما بإعادة بث فيلم *The Boy in the Striped Pyjamas* (الصبي ذو البجامة المخططة 2008م) بالرغم من قدمه إلا أنه يعرض محرقة الهولوكست والظلم الذي تعرض له اليهود صغاراً وكباراً على يد النازية، وعدم إنصافهم في العالم.

فالترويج له في القنوات التلفزيونية ودور السينما، بالطبع ستكون له ردود أفعال لصالح الاحتلال وصدى واسعاً لمناصرتهم، من خلال التأثير على المشاهد وإقناعه بالرواية ولا ضير من تهويل بعض المواقف الصغيرة و تصغير بعض الأحداث الضخمة؛ ذلك لبناء صورة ذهنية صلبة.

وأفلام الهنود الحمر في أمريكا تدلل على ذلك، فقد استحضروهم الأمريكيون في الأفلام وهوليوود بشكلها العام بأبشع الصور من الهمجية وأكل لحوم البشر، والفظاظة في التعامل وتشبيههم بالحيوانات،

¹ هو عالم الاجتماع الألماني "يورغن هابرماس" هو الذي عرف هذا الفضاء بشكل دقيق فالفقاعات العمومية، المقاهي، الصالونات، الساحات العامة، والميادين من خلالها يتشكل الرأي العام. ينظر: (سبيلا و الهرموزي، 2017، صفحة 367).

وبهذا مسخت فكرة أمريكا جسد ضحيتها الهندي وثقافته إلى مادة ملوثة مُضرة لا بد من تطهيرها والقضاء عليها بصابون الحضارة الأمريكي، الذي يحق له استباحة الآخر وتحويله إلى ذبيحة يقطعها كما يشتهي (العكش، 2009، صفحة 16).

وبما أنها فكرة ناجعة حذت أمريكا والغرب حذو التحيز في الأفلام واعتمده؛ وذلك لأسباب عدة، أهمها: من شأن التحيز تقوية مجتمع وتعزيز هيمنته مقابل إضعاف مجتمع آخر وترسيخ تبعيته، كذلك يحقق أهدافاً اقتصادية هائلة فيمكن الذات وينفي الآخر، فيه نوع من السادية والغرور والإشباع الذاتي، التحيز يجعل القطيع متجانساً في الأفكار والرؤى، وأخيراً ليس آخرًا تكمن أهميته في سهولة تقديمه فهو كالسلاح يُوجه ويُصوّب ضد العرب والمسلمين لإثبات عُنْجَهية الطرف الآخر واستبداده.

نبذة عن الفيلم الأول: قناص أمريكي (American Sniper) <https://org.wikipedia.ar>

ملخص الفيلم: هو عبارة عن قصة حقيقية وسيرة ذاتية مُقتبسة من مُذكرات جندي كان يعمل مع قوات السيل في العسكرية الأمريكية واسمه "كريس كايل"، المعروف بالقناص الأمريكي وهو الأكثر فتكاً في تاريخ العسكرية الأمريكية برصيد مائة وستين قتيلاً مؤكداً باسمه، ويستعرض مدى تأثير مواجهته للموت يومياً أثناء القتال في العراق على حياته الشخصية والعاطفية، ومحاولة الانفصال عن زوجته وأولاده، وينتهي الفيلم بقتله على يد جندي متقاعد يحاول مساعدته.

يُعد كريس كايل أكثر الرماة بطشاً بواقع 255 قتيلاً، 160 منهم موثقة رسمياً من قبل البنتاغون.

تصنيفه الفني فيلم أكشن، حربي، سيرة ذاتية، دراما.

عُرض أول مرة خلال مهرجان معهد الفيلم الأمريكي في 11 نوفمبر 2014، ثم عُرض بعدها بشكل محدود في الولايات المتحدة في 25 ديسمبر 2014، ثم تبعه إصدار عالمي موسع في 16 يناير 2015.

سجل أعلى افتتاحية لفيلم خلال شهر يناير، تلقى قناص أمريكي ستة ترشيحات، منها أفضل فيلم وأفضل سيناريو مُقتبس، وأفضل ممثل لبرادلي، وغيرها. حيث حصل على تقييم 73% على مواقع الطماطم الفاسدة، وكان من أنجح الأفلام، ومع هذا تلقى العديد من الانتقادات من اللجنة الأمريكية العربية لمناهضة التمييز وينتقده تشومسكي ويجده يقلب الموازين لصالح قاتلِ بدمٍ بارد.

وبعد عدة سنوات من الحرب بدأت تتكشف الحقائق، فالعراق لم يكن له أي علاقة في هجمات سبتمبر، وثبت تزييف تقارير استخباراتية عن امتلاكها أسلحة كيميائية مُدمرة، وهذا يشير بشكل قاطع إلى افتعال حرب مقصودة؛ هدفها تدمير البنية التحتية العراقية وإسقاطه في بئر النزاعات المذهبية والطائفية، بالإضافة إلى جرائم التعذيب وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان، ففكرة الفيلم تتبنى تبرير كل ذلك بالإضافة لكل الحروب التي يخوضها الجيش الأمريكي خارج أرضه تحت راية الدفاع عن النفس. (أبو لين، 2015)

نبذة عن الفيلم الثاني: الحرس القديم (The Old Guard) (<https://ar.wikipedia.org/>)

ملخص الفيلم: عبارة عن مجموعة من المقاتلين المرتزقة، يتميزون بالخلود تقوِّدهم أندي بطلة الفيلم، يتمتعون بقدرات خارقة جدًا أهمها التئام الجروح بشكل عاجل واستحالة موتهم، تحاول الحكومة إيجادهم وإجراء اختبارات على أجسامهم، ويتمتع المقاتلون الأربعة منذ قرونٍ عدة بقدرات جسمانية متجددة ويستخدمون قدراتهم الجبارة؛ لإنقاذ الناس، بدايةً يقبل الفريق بمهمة إنقاذ مجموعة من الأطفال المختطفين في جنوب السودان، و خلال المهمة يتعرض الفريق لفخٍ مُحكمٍ ويُقتلون وبعد التئام جروحهم يقومون بقتل مهاجميهم ويدركون أن كوبلي (ناشط سابق في وكالة المخابرات المركزية) هو من أوقع بهم وصورّ تجددهم وانبعثهم من جديد، ونهاية الفيلم جاءت مفتوحة للمشاهد، وقد تم الإعلان عن إنتاج جزء ثانٍ من الفيلم سيتم بثه في 2024م أي هذه السنة.

وقائدة المجموعة التي يعيش أعضاؤها منذ الحرب الصليبية يرجع عمرها إلى ما قبل الميلاد، وهذا بالطبع ما يتميز به الفيلم، فالمجموعة ورائها سرٌ رهيب يجعلها هدفاً لشركة طيبة ترغب في إجراء أبحاثٍ عليهم؛ للكشف عن سر خلودهم؛ ليصنعوا منتجاتٍ تُطيل العمر، ويبدأ التشويق عندما تتضمن إليهم زميلة جديدة وتتأزم الأحداث بعدها، والفيلم بشكله العام يسلط الضوء على مفاهيم فلسفية من مثل: الوجود، والخلود، والموت، والترابط العائلي، والموت، والعدالة (طلعت، 2020).

تصنيفه الفني: فيلم أكشن، غموض، خيالي، تأملي، صدر في 10 يوليو 2020.

حصل الفيلم على نسبة نجاح تبلغ 81% بواسطة موقع الطماطم الفاسدة، وحصل على نقد إيجابي بشكلٍ عام، ونال جائزة هوغو 2021.

الفصل الأول

التحيز في الأبعاد والمجالات المتعددة

إنَّ ما يهيم الباحثة وما تركز عليه في هذه الدراسة هو التحيز الغربي ضد العرب والمسلمين. الذي أصبحنا نتلمسه، ونراه ونعيشه في وقتنا الحالي، والذي يشمل مجالات الحياة كافة.

فمهمة الباحثة تبدو جلية في الكشف عن ستار هذا كله، أيضاً ستجيب عن السؤال الذي يراود جميع من في المعمورة لماذا كل هذه الضجة والبلبلّة التي يفتعلها الغرب ويكرّسها ضد العرب؟! لماذا هذه الحملة المسعورة التي ينتهجها بكل دهاءٍ ومكاراة؟!.

المجال الاقتصادي

آثرت الباحثة أن تبدأ في المجال الاقتصادي؛ لأنه الأساس الذي يعتمد عليه الغرب والإدارة الأمريكية خاصة في معاملة العرب، وهي نقطة الضعف المركزية التي يراهنون عليها، فبالرغم من أن الوطن العربي أكثر الأوطان خصوبة بالموارد الطبيعية، كالبتترول، والنفط، والغاز الطبيعي، وغيرها، إلّا أنه في الوقت نفسه أكثر المناطق دمويةً ومعاناةً، وذو نفوذ محدود لا يليق بمستوى مقدراته.

فالولايات المتحدة الأمّة التبشيرية ترى أنه على الأمم غير العربية وشعوبها أن تلتزم بالقيم الغربية الاقتصادية من أسواق حرّة ورأسمالية¹، حيث إنها تبذل جهودها في جمع اقتصاد هذه المجتمعات على هيئة نظام اقتصادي عالمي تهيمن عليه وتحقق مصالحها عن طريق صندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية فارضةً سياساتها الاقتصادية التي تناسبها على العالم أجمع (هنتجتون، 1999، صفحة 294).

الرأسمالية كالسوق الحر، وهي قائمة على مبدأ الداروينية أي البقاء للأكثر تناسباً، فالمنتج الناجح الذي يزيد الطلب عليه ليس هو الأفضل بالضرورة وإنما هو الذي يحقق أكبر عائد مادي للمصانع والشركات، ونظام الرأسمالية كالسرطان تنتهش الدم، وعلى استعدادٍ لتدمير المجتمعات كلها؛ لتحقيق

¹ الرأسمالية: هي نظام اقتصادي واجتماعي يتميز بامتلاك الأفراد لحقوق ملكيتهم واستغلالها وفق إرادتهم الخاصة. ينظر: (سبيلا و الهرموزي، 2017، صفحة 260)

أهدافها مُخَلَّفَةٌ وراؤها لاعدالة اجتماعية، وامبريالية جديدة، وانهيار للنظام البيئي، والعديد من التحولات والتقلبات.

إنَّ المتأمل في اقتصاد العالم وثرواته وتحركاته من صادراتٍ ووارداتٍ، لا يخفى عليه هيمنة الولايات المتحدة وسيطرتها المدروسة بالكامل، فهي الأولى عالمياً في إنتاج الكهرباء والطاقة النووية والملح والفسفات والكبريت، كذلك هي أكبر منتج للذرة وهو أساس الغذاء في العالم، وأما فيما يخص المعاملات النقدية فتعد بورصة نيويورك أكبر بورصة¹ في العالم من حيث حجم الدولار، ولديها أكبر احتياطي من رصيد الذهب في العالم (إسماعيل، 2016، صفحة 148).

ومع كل هذه الميزات وغيرها نحن أمام أقوى اقتصاد في العالم، فبعد انتهاء الحربين العالميتين الأولى والثانية والتي نتج عنهما إنهاء اقتصاد الدول كافة، خرجت الولايات المتحدة الأمريكية متباهيةً بأنها أقوى وأعظم دولة رأسمالية في العالم، رصيدها من الذهب يتجاوز أرصدة الدول الأوروبية بكثير، ناهيك عن استغلالها لهذا الحدث وقيامها بإقراض هذه الدول مقابل فوائد ضخمة، ولا سيّما أنها فرضت رصيد من الذهب مقابل كل طباعة للعملة الورقية لدول العالم، ونتيجة لتصلها من هذا الشرط، فهي الوحيدة من دول العالم تطبع ما تشاء من العملات الورقية بلا حسيبٍ أو رقيب، وأضف لذلك أنها تحكمت في عمليات الطلب والعرض على الذهب حتى وصلت سعر الأونصة إلى 350 دولاراً، وهكذا أصبح فرض العملة الأمريكية أمراً واقعاً لا مفر منه؛ ليشكل نظاماً عالمياً جديداً.

(<https://feji.us/bsfms9>)

فها هي البنوك التي فرضتها على جميع العالم؛ لإخضاعهم لنظامها العالمي، وتحت ستار الحفاظ على أموال الناس، تفرض عليهم فوائد لا تعد ولا تحصى، وتحاول إغراءهم بالتقسيم الميسر للقروض التي

¹ البورصة: سوقٌ تلتقي فيه الشركات وهي العرض التي تُصدر الأسهم للمستثمرين وهم الطلب، فبالتقائهم تتحدد قيمة أسهم الشركات المتداولة في البورصة. ينظر: (سبيلا و الهرموزي، 2017، صفحة 97)

لطالما شملت مناحي الحياة كافة، من بناء البيت إلى شراء السيارة إلى تأسيس مشروع وغيرها من الأفكار الجاذبة نحو استقرار الناس وتأمين مستقبلهم من خلال تغريبهم عن واقعهم المرير.

وأما فيما يخص العربي فبلا أدنى شك وقع في شرك هذه الأفكار، فهاجس الاستقرار والأسرة وتأسيس العائلات يلاحق الشباب في ظل انعدام فرص العمل، وإن وجدت تكون لا تكفي لتغطية نمط الحياة السائد والمفروض على الناس، وبالتالي تصبح البنوك جزءاً مهماً في حياته وتعاملاته من إنشاء حساب في البنك إلى طلب قروض مختلفة إلى تسديدها بدفعات ميسرة، حتى استلام الرواتب و إيداع ما يتم جنيه من المال يكون في هذا الحساب البنكي؛ أي أن جميع المواطنين وما يكسبونه من أموال وعمولات من كدّهم وعرق جبينهم وما يدخرونه في حياتهم كلها تابعة للبنك المركزي الذي تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية على دول العالم، أيضاً مع كل هذا نجد رؤوس الأموال وأصحاب الشركات والنفوذ والشخصيات الرأس مالية في العالم العربي يحتفظون بأموالهم في البنوك الأمريكية وليس في البنوك العربية، وفي الحقيقة السبب وراء هذا لا يُفسر إلا بمنطق واحد وهو هيمنتها المتخفية أو العلنية (فكلتاهما لا تشكلان فرقاً) على اقتصاد العالم، وحرصها الشديد على تعزيز اقتصادها راميةً وراء ظهرها أهداف الدول ومراميها.

والمواطن العربي شأنه شأن حكوماته ودوله، فإذا كان المواطن نفسه غارقاً في تسديد ديونه لاهناً وراء التخلص من همومه وتحقيق طموحاته، فحكومته نموذج أكبر، فأغلب الحكومات العربية تجدها عاجزة عن توفير متطلبات العيش الكريم لمواطنيها، و توفير علاج أو تعليم مجاني، غير قادرة على توفير رواتب لموظفيها، ترى ديونها وعجزها يُقدر بالملايين وقد يصل للمليارات، ليس لديها مخزون احتياطي من أي شيء، لا تمتلك أي شركات ضخمة تدر عليها بالمبالغ الباهظة لتسندتها وقت العجز، وإن وُجدت فقد تم خصصتها، أو بيعها لشركات أجنبية استثمارية تدر أرباحاً لدولتها الأم، أيضاً ليس لديها الحد الأدنى من الصادرات التي تحرك اقتصادها ولو بالقليل، ولو وُجدت ترى الدول المستوردة ومن قبلها الحكومات العربية تفرض رسوماً وجمارك تتجاوز قيمة الربح، وهناك نقطة مهمة تقوم بها

الحكومات العربية وهي وضع العراقيل أمام المواطنين في إنشاء المصانع والشركات الاستثمارية، تلك التي تقوي دعائم الدول والحكومات، فلذا تجد أغلب المشاريع في الدول العربية (إن لم تكن جميعها) استهلاكية من الدرجة الأولى، وبهذا يصبح لزاماً على الحكومات العربية استيراد كل شيء من الدول الأوروبية والآسيوية، والاعتماد اعتماداً تاماً عليها، فلا فكرت حكوماتنا في الاستثمار في الزراعة مستغلةً المناخ المعتدل، ولا ساندت مواطنيها في ذلك.

وترى الباحثة وهذا لا يخفى على العيان أن حكوماتنا العربية بمجملها متقاعسة آثرت الخمول على العمل والإنتاج والتصنيع وبالطبع هذا شيء صغير يقع ضمن شيء أكبر بكثير، وتعتقد أن هذا التقاعس فرض فرضاً ولا يمكن للعربي الفكاك منه بسهولة ويسر، إذن فنحن أمام نظام اقتصادي خطير ينذر بالإنفجار في أي لحظة.

لقد تطورت المجتمعات وتقدمت وما زلنا نتلمس في عالمنا العربي ثغرة الغنى الفاحش والفقر المدقع، ما زلنا نرى اختيار الموظفين يقوم على المحسوبية والواسطة لا على الأجر والأقدر، ما زلنا نرى حكوماتنا تتصل من مسؤولياتها في توفير فرص عمل لمواطنيها، أيضاً أصبح أعداء الناجحين من المستثمرين كثراً، ليصل بهم الأمر إلى حزم الأمتعة واختيار جهة تحيي هذا النجاح وتحفزه وبالتأكيد سيقع اختيارهم على أرض الفرص والحريات.

إن الرأسمالية نظام اقتصادي يمتلكه شخص ما لكسب المزيد من المال، لأغراض الهيمنة الخاصة، وقد يشكل الشخص فئة معينة ويحتكر سوقاً بأكملها ومن شأن هذا إيجاد شرخ كبير في المجتمع ككل (أبليي، 2014، الصفحات 14-15).

فوجود المصانع والشركات الكبيرة في الولايات المتحدة يجعلها محتكرة للصناعات؛ ليس بأكملها ولكن في مجملها، "فهناك أربع ملايين شركة عاملة مستقلة فيها، وأربعمائة ألف شركة تقريباً تؤسس كل عام، إلى جانب عدد أقل بعض الشيء يخلق سنوياً، أي ما يقرب خمس السكان العاملين هم من أصحاب

المهن الحرة“ (فريدمان، 2017، صفحة 131)، إلى جانب المصانع النووية وتصنيع الأسلحة ومعدات الفضاء، وهذا لا يعني أن باقي الدول لا تصنع مثل هذه الصناعات فالمقصود هو تمييز صناعاتها وجودتها وهذا ما يجعل البعض يطلقون عليه تنافساً وليس احتكاراً، على أية حال عُقدت العديد من الاتفاقيات بين الدول لتسهيل عمليات التبادل التجاري فيما بينها، ولم تفلح في غالبيتها وآخرها منظمة التجارة العالمية التي تشكل أداة مهمة في يد الولايات المتحدة؛ ذلك لأن أصحاب النفوذ والخبرات يمتلكون نصيب الأسد في السيطرة على المنظمة وسياساتها، متعامين عن مصالح دول العالم الثالث التي تقع أسفل الهرم الاقتصادي مع أنها مستهلكة من الدرجة الأولى ولكنها غير منتجة أو مصدرة، ونتيجة للنظام المتبع أضحت شريعة الغاب سيدة الموقف والقرار، فالقوي منها يأكل الضعيف ويستنزفه بلا هوادة، وهذا هو عنوان المرحلة التي نعيشها بكل حذافيرها (أبلي، 2014، صفحة 413).

فالإنسان الاقتصادي في النهج الأمريكي أو لنقل الغربي هو إنسان متحرر تماماً من القيمة، أحادي البعد، أقرب إلى البهيمية من الإنسان، إنسان لا ينتمي إلى حضارة بعينها، وإنما ينتمي إلى عالم الاقتصاد العام. وهو لا يعرف الخصوصية ولا الكرامة ولا الأهداف الأخلاقية التي تتجاوز الحركة الاقتصادية، وهو يجيد نشاطاً واحداً هو البيع والشراء ومراكمة الأموال وإنفاقها، وأصبحت هذه العملية غاية في حد ذاتها (المسيري، 1999، صفحة 26).

وكما يكْدس المواطن العادي البضائع الاستهلاكية اليومية تُكْدس الدول الكبرى الأسلحة والقنابل ثم تُدمر بها بعضها بعضاً في حروبٍ طاحنة، ثم تعود وتُصنَع أسلحة أكثر فتكاً وقنابل أكثر خطراً، انقلب العالم وأصبح مسرحاً مجنوناً يهرول فيه المهووسون المجانين في اتجاهٍ واحد، نحو القوة المادية، معبود هذا الزمان، فلا إله إلا المادة، أَفَلَتْ شمسُ الصلاة اليومية وغاب معها تقوى الله والإحساس بالأمن والسكينة، وأصبح العالم غابة يتصارعُ فيها القوي مع الضعيف، البرائن مع الأنياب، الغني مع الفقير، الإنسان مع أخيه، ويتطور الصراع إلى عنصريّ، وعقائدي، وطبقي،..ويتشكل عالم شبيه بحلبة القتال المريعة فحتمًا هناك خاسر ومنتصر (محمود، 1999، صفحة 97).

وفي صدد هذا يصبح الهدف من الإنتاج هو الاستهلاك، وتزايد الإنتاج يتبعه تزايد في الاستهلاك، وحياة المرء تكتسب معنى إن هو استهلك، ومزيداً من المعنى إن صعد من استهلاكه، فالإنسان حيوان اقتصادي جسماني لا يبحث إلا عن منفعة الاقتصادية ولذته الجسمانية، فالعنوان ينقلب ليصبح الاختراع هو أبو الحاجة، إذ لا بد أن تتطور السلع وتدخل سلع جديدة قابلة للتسويق، ومن هنا يدخل الإنسان دائرة الإنتاج التي لا هدف لها ولا غاية إلا الاتساع والتوسع إلى ما لا نهاية واللهث وراء اللذات والنمطية. (المسيري، 2009، صفحة 256).

وتخلص الباحثة إلى أن الهيمنة الاقتصادية الأمريكية على كل ما هو عربي على وجه الخصوص، هي هيمنة ذكية لا تُفرض بالقوة (وإن كانت تُفرض) فلها أساليبها الخفية التي تتبعها منذ قرون على العالم برمته ليكون تابعاً ماشياً يجر خيبته وراءها فيحلل ما تحلل ويحرم ما تحرم، مقتدياً بها، راضياً بممارساتها، على قناعة تامة، ولم لا؟ وهي النموذج الكامل المتكامل أرض الحريات والفرص اللا متناهية، تدعم مستثمريها وتشجعهم وتفتح أبوابها لكل مبدع ومخترع صغيراً كان أم كبيراً، فرداً أم جماعات، مسلماً أم هندوسياً... وغيرها من المقارنات التي لم نألفها في أوطاننا العربية، والتي تعلمنا منها أن الاختلاف أساس الفرقة، وأن الخضوع هو الخيار الأسهل والأجدر، مشاريع الشباب فاشلة لا طائل منها، لا يليق بنا إلا مد الأيدي وطلب الاستعطف حتى لو كان وطننا العربي مليء بالموارد فهذه الموارد عبارة عن خام تحتاج إلى من يستخرجها ويصنعها، لكي يُستفاد منها بالشكل المطلوب.

ويجد أنور عبد الملك أن العالم العربي و الإسلامي يقف أمام شبح الهيمنة والعنف والعنف المضاد في التاريخ، وفائض القيمة التاريخي لا يقتصر على المجال الاقتصادي من سيطرة على الأراضي والبحار والموانئ، وتكديس المواد الأولية، ومصادر الطاقة؛ بل كان الوسيلة التي تكفل استمرارية سيطرة البرجوازيات الغربية على العالم ككل، كإشعال الثورة الصناعية والعلمية والتكنولوجية والتحكم بها وبمسار انتشارها، وكانت الولايات المتحدة أكبر مثال على هذا (عبد الملك، 1985، صفحة 21).

ومن الطبيعي أن يُعجب الغرب بحال أوطاننا، فهم يحكمون السيطرة عليه، يزرعون في عقولنا أننا من دول العالم الثالث المتخلف الذي عليه أن يفتح أسواقه لاستقبال ما يصنع العالم المتحضر فحسب. وترى الباحثة أن هذا الحال بالإمكان تغييره أو التخفيف منه، ويتأتى من خلال فهم واستيعاب نقطة مهمة وهي أن اقتصاد أوطاننا بحاجة إلى إرساء دعائمه وثبيتها، مبدوءًا بكفنا عن وصف أوطاننا بالمتخلفة كما يزعمون، ومنتهيًا بإيماننا المطلق بعروبتنا وثقتنا بموروثنا الحضاري الذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا، فلنا صناعاتنا وتجاراتنا وأعمالنا التي تميزنا حق التميز عن غيرنا، فتعاملاتنا المالية وأصولها موثقة في كتابٍ عظيم من عند الله يصلح لكل زمانٍ ومكان، لا تتبع قوانين بشرية وضيفة متقلبة الأهواء والأنفس.

المجال الديني

جعلت الباحثة المجال الديني بعد الاقتصادي؛ وذلك أن الدين جزء مهم لا يقل أهمية عن الجانب الاقتصادي؛ كون المسلم الحق يضع دينه وتعاليمه ويهتدي بهما في حياته، ويبرمج حياته على أساس هذا الدين فما يرتضيه يأخذ به وما ينهى عنه يبتعد عنه، ولكن الدين بالفطرة يظل دفين القلب وإن تكشفت شعائره، يبقى سرًا بين ضمير العبد وربّه، وبالتالي فإن عمليات التحيز للدين الإسلامي في غالبها مستترة غير ظاهرة للعيان، وإن كانت في السنوات الأخيرة متعمدة بارزة بلا أي مقاومة لصدّها.

يرجع تاريخ هذا العداء منذ ظهور الإسلام دينًا ومنهجًا حضاريًا كاملًا ينافس المسيحية؛ بل ويتجاوزها، أي في بدايات القرن السابع الميلادي عندما توسعت الحضارة الإسلامية وضمت أجزاء واسعة مما كانت تسمى الإمبراطورية المسيحية، ثم تراجعت شيئًا فشيئًا من خلال سقوط القسطنطينية، وإحكام سيطرة الدول الغربية على الدول العربية والإسلامية، ورجوع الأندلس لكابوس المسيحية، واحتلال دولة فلسطين الذي بدأ من قبل 1948م حتى وقتنا هذا، كل هذه الصراعات التي تخللتها هُدُن ومعاهدات مؤقتة ودائمة، كانت ولا تزال تحمل نوعًا من النفور والكراهية تجاه الدين الإسلامي. (سبيلا، 2006، الصفحات 108-109).

و العبرة دائماً ما تكون في الخواص، وعلى أية حال فمبادئ هذا الدين القويم التي وضعها من هو أعلم بخلقه، جعلت ممن يعتقدون أدياناً أخرى ينظرون إليه بنصف عين، يتمنون فيه يُفسرونه على أهوائهم، ويُنظرون عليه؛ بل ويتهمونه بالانغلاق والرجعية.

وتجد الباحثة أن التيارات والأفكار الغربية تمارس دوراً كبيراً في دحض الدين بجميع أطرافه ومذاهبه، كالعلمانية التي تُعرف على أنها: "التفكير في النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق" (وهبه، 1995، صفحة 58). بلا قيود أو ضوابط لأي شيء، فكل يعيش حياته على هواه، فلا وجود لرجال الدين، ولا صوت يهمس بهذا حلال أو حرام، إنه الانطلاق بلا توقف، إنه الغرق في الحضارة الغربية بلا نجاة.

تتخفى على هيئة أسلوب حياة متكاملة تدخل من كل الأبواب والنوافذ والشاشات؛ ذلك لهدم الدين وشرائعه أولاً، ثم لتقويض ما هو مطلق وثابت؛ بحيث يتزعزع الفكر الإنساني القائم على مسلمات وحقائق.

فمثلاً إذا كان المسلم ملتزماً بصلاته وعبادته يؤدي فرائضه فهو متخلف رجعي، لم يصله التحرر ولم يدركه التطور بعد، فكيف يتطور أصلاً وهو متشبث بالدين والتقاليد التي عفى عنها الزمن؟.

ومما لا ريب فيه أن الدين اللبنة الأساسية للمسلم، تربي وتأسس وتعلم من خلاله، فهم الكون برمته وأيقن الفطرة التي جُبل عليها، وهذا شأن المسيحي ومن هم من أهل الكتاب أيضاً، (لكن التحيز كان مباشراً مقصوداً ضد الإسلام) فالسرقة حرام، والكذب حرام، والزنا حرام، والقتل حرام،.. وغيرها من المحظورات التي تحفظ أمان المجتمعات من الفساد والخراب، لكن العلمانية التي هي ضد الدين أساساً تأتي لتفند هذا وغيره من التعاليم القويمة، من خلال زراعة الشك في العقل الإنساني حول هذه المسلمات، وإطلاق أسئلة عديدة بلا انتهاء، مثل: ماذا لو ارتكبت السرقة؟ هل سيعاقبني أحد؟ الإله هل سيراني؟.. وهكذا تستمر الأسئلة إلى أن يجد نفسه واقعاً فيها فعلاً، وتعتقد الباحثة لو كان هذا المجتمع مجتمعاً مسلماً ملتزماً بأوامر الله ونواهيه (وتقول مجتمعاً ملتزماً لأن هناك العديد من المجتمعات التي

تدّعي أنها مسلمة وهي بعيدة كل البعد عن تعاليمه)، لما وصلت به الحال إلى ارتكاب السرقة التي قد تتفاقم إلى القتل، فالزكاة فرض من أركان الإسلام وأساساته وكسب المال والتعامل به يقوم على نظام وقواعد، بحيث لا تكون هناك مضارة للفرد أو الجماعة، ويُحرم الغصب والنهب والسرقة والربا، ويُشرع الصبر على الناس والتيسير عليهم وذلك هو الإطار الذي ينمو فيه الاقتصاد الإسلامي بلا انحراف أو ضياع (قطب، 1986، صفحة 243)، في هذا المثال إشارة إلى أن كل مجالات الحياة مترابطة ببعضها يحكمها ويوجهها الدين، الذي يعلم العلمانيون حق المعرفة أنه أساس المجتمعات ونقطة صلاح الأمم وتقدمها.

ومن هذا المنطلق كان لا بد من العمل على تنويم الأمم مغناطيسيًا، وإبعادها عن الدين تدريجيًا، والتحيز ضد الدين يشكل خطاب ما بعد الاستعمار و يندرج تحت رسم صورة له في أذهان العالم ككل دينٌ همجي بربري، رجل ملتجٍ يعامل زوجته التي لا تهتم بنفسها بقسوة، ولغة العنف هي التي تسيطر على تعامله مع أبنائه و زوجته، يحب الموت يفجر نفسه هنا وهناك ولا يأبه لحياته، يعيش على إراقة الدماء.. وهذه صورة من صور عديدة يؤمن بها الفكر الغربي ويُعممها بشتى الوسائل.

وتؤكد الباحثة أن تأخر الأمة الإسلامية في القرون الأخيرة غير مرهون بسبب واحد؛ بل مجموعة أسباب متآزرة جعلت الحال ما أصبح عليه الآن، وتكمن النقاط الجوهرية بالانحطاط والانحراف عن فهم الإسلام نفسه وانحسار مفهوماته وقلة الانشغال به، سيطرة حب الدنيا والتمسك بها، ومفهوم الموت لا يأتي إلا في نهاية العمر عندما يشيخ المرء، والذلة التي تعيشها الأمة الإسلامية تلك عقوبة من الله على ترك الجهاد وإعلاء كلمته، والركود العلمي العام والضعف المادي والمعنوي والفكري أيضًا مقارنةً بأوروبا التي كانت تنفض غبار جهلها على الأمم أصبحت رائدة العلم والاكتشافات والاختراعات، وهذه الأسباب جعلت من العالم الإسلامي لقمة سائغة يسهل تناولها وتقسيمها وإطلاق الأحكام عليها، والتحكم في ثرواتها وممتلكاتها.. وبصورة عامة كما أن العلمانية ظهرت في أوروبا نتيجة لتحرير الدين النصراني - الذي كان يشكل حملًا وعبئًا كبيرًا كونه محرّفًا على النصراني الذي يهب نفسه وما يملك

للكنيسة - ظهرت في العالم الإسلامي نتيجة انحراف المسلمين (الحوالي، 1987، الصفحات 507-508).

ولكن السؤال لماذا هذا العداء الكبير على الدين عامة والدين الإسلامي خاصة؟

إن الغرب العلماني لا شك أنه يعي جيداً أن الدين الإسلامي منهاجٌ سويٌّ سرعان ما يكتسب الهيمنة والقوة فيكتسحه ويتحدى كل أفكاره العقيمة الفاسدة وسيقف في وجهه متصدياً له متسلحاً بسلاح الدين العقلاني مستقطباً كل من على المعمورة، مانعاً من جعل العالم مجرد لعبة (ليجو) في يد الولايات المتحدة تبني وتهدم ما يحلو لها.

ويكمن العمل إزاء حملات التحيز ضد الدين الإسلامي في نظر الباحثة وجوب تعميق الانتماء للدين الإسلامي من الفرد نفسه أولاً ثم الجماعة، وحث الهيئات والمؤسسات الدينية الكبرى على تعزيز الدين الإسلامي وإشراكه في جميع مجالات الحياة والقيام بواجباتها على أكمل وجه، أيضاً لا ننسى دور الأسرة من استقرار وترابط وتربية فهي عامل مهم لترسيخ تعاليم الدين الإسلامي، كذلك المدارس والجامعات لها دور عظيم في ذلك، وأخيراً وسائل الإعلام والسينما العربية لها دور عظيم في تغيير الصورة النمطية للإسلام من خلال العمل الجاد على ترسيخ صورته الحقيقية الصحيحة، واحتواء العلماء والمفكرين والفلاسفة من المسلمين الذين لهم دور بارز في نهوض الأمة ونمذجتهم، أيضاً مناقشة الأيدلوجية الإسلامية ومقارنتها بغيرها من الأيدلوجيات والأفكار.

وفي نهاية المطاف تؤمن الباحثة بفكرة أن الدين لا يرفض الحياة ولا يرفض العقل، والإسلام بشكلٍ خاص يقوم على أساس حب الحياة ورعاية النفس والاهتمام بها، كذلك يحض على احترام العقل وطلب العلم والاستزادة، فالشريعة الإسلامية توحد بين الروح والجسد لا الروح تغطي على الجسد ولا الجسد يغطي على الروح، فلا يطلب منا أن نميت الشهوة ولا أن نجعلها محور الحياة وأساس الوجود؛ بل يوجهنا إلى تنظيمها وضبطها في إطار العلاقة المشروعة، فهو يقدم لهذا العصر (بما أنه يصلح لكل

زمان) باب النجاة من ماديته البحثه بلا مقابل و دون خسارة أي شيء، وكل ما يريده هذا الدين تحقيق التوازن الناجح بين المادة والروح. (محمود، 1999، الصفحات 102-103)

المجال السياسي

إن التحيز السياسي ضد العرب لا يكاد يخفى على العيان، فالدول العربية في ظاهرها مستقلة صاحبة سيادة على أراضيها يتم انتخاب حكامها ورؤسائها عبر صناديق الاقتراع، تمتلك جيوشاً عظيمة بأسلحة فتاكة، ولكن إذا تمت الاستعانة بعدسة مكبرة لرؤية هذه الدول من الداخل تجد العجب العجائب، فلا دولة مستقلة، ولا سيادة، ولا تتم الانتخابات إلا بقيام حروب أهلية، والجيش الكبير موجةً على الشعب لا على عدو الشعب، فحرية التصرف بالموارد، والعقول النيرة، والتعامل مع الدول الأخرى، مرهونة جميعها بتدخلات خارجية ومضبوطة بقوانين تفرضها الدول الكبرى لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية.

فمفهوم السلطة ومعناه اتسع وبشكلٍ مبالغ فيه بحيث تماهت ملامحه، ومع هذا التماهي غابت ملامح الممنوع والمباح والمحلل والمحرم، وأصبحت الملامح خاضعة للمزاج الخاص برجال السلطة التابعة لسياسة الأمركة والغربيين، والتي يفترض بها (السلطة) ترسيخها بكل الوسائل المتاحة مضيئةً شرعية هذه الوسائل ببعض المستندات الاجتماعية والعرفية والدينية وقد يصل إلى تزويرها والتلاعب بها وتحريكها على هواء تلك السياسات (عبد المطلب ، 2011، صفحة 52).

ترى الباحثة إن مثل هذه المفارقات العجيبة في وطننا العربي تجعلنا نعيد النظر مئات المرات في حالة الهوان التي وصلنا إليها، فلا هو استقرار حقيقي يطمئن الشعوب، ولا هي حرب ضروس لا تبقى ولا تذر، إنها متفاوتة ما بين الاثنين، تجعل الدول العربية في حالة تيه وتخبطٍ دائمين، ليس لها موقف موحد من الصراعات، وتجدها على استحياء موجودة في المحافل الدولية؛ وذلك بسبب مواقفها غير الجريئة التي لا تكفي لجعل آذان العالم صاغيةً لها.

ومما لا شك فيه أن صعود نجم العلمانية¹ جعلها تتبوأ مكانة بارزة في ضعف الموقف السياسي العربي وفي ركافة حكمه، بدايةً فصلت الدين عن الدولة وتبنت قوانين وضيعة تخص إدارة الدولة، ورافق هذا عدم إعطاء الدين أي اعتبار وإبعاده عن الساحة السياسية بكل شكل، فجعلت الدين عاملاً غير موحد أو مشترك بين الدول العربية باعتباره أمراً خاصاً و شخصياً.

ومصطلح اللاتيكية المشابه للعلمانية نتج بشكلٍ مختلفٍ عن التقليد المسيحي الديني، وأخذ يعمق ويؤيد الفصل بشكل قاطع بين السماء والأرض وبين الشأن اللاهوتي والسياسي. (تودوروف، 2006، صفحة 133) ويعزز من استقلال كل جانب.

وهو ترجمة حرفية لمقولة: "أعطوا لقيصر ما لقيصر والله ما لله" (إنجيل مرقس/مر12:12-17) التي تبناها العديد من دعاة العلمانية.

تتوه الباحثة لنقطة مهمة وهي تذلل الدول العربية إلى كل موارد الحياة، إلى القمح، الكهرباء، الماء، الغذاء، الدواء، الحماية... إلى كل شيء من البسيط إلى المعقد، هذا يجعلها دائماً في حاجة الغير (الغرب) وفي رأيها من هنا تأتي الهزائم، فكيف لدولة تدعي أنها مستقلة لا تستغل ثرواتها و أراضيها للإنتاج؟ وتنتظر أن تمتلئ رفوف محالها بالمنتجات الغربية الأمريكية وهذا من أبسط الأمثلة، وكيف لدولة تدعي الاستقلالية وحكامها مندوبون للفكر العلماني ومروجون له، من خلال أحزابٍ سياسية قسم مؤيد للسلطة الحاكمة ويكون الحاكم منتمياً لها، وقسمٌ آخر معارض للحزب وبهذا معارض للحاكم وإدارته التي غالباً ما تكون استبدادية² فاشية كما يُراد لها أن تكون، فأين الاستقلالية في الحكم والفكر؟، طبعاً من شأن هذا إثارة الفتن والأضغان بين أبناء الأمة الواحدة، وتدخل الأطراف بعدها في مناظرة مستمرة قد تتحول إلى صدام وعراك.

¹ علمانية: تعني أن قرارات الدولة وجميع القرارات السياسية غير خاضعة لأي تأثيرات دينية، فتقف من الدين موقف الحياد. ينظر: (سبيلا و الهرموزي، 2017، صفحة 348).

² الاستبداد: هو اعتماد آليات الحكم المطلق واحتكار السلطة وغياب مبدأ المحاسبة. أنظر: (سبيلا و الهرموزي، 2017، صفحة 26) أمّا الفاشية: فهي منظومة فكرية تطوي على قدر كبير من العنصرية وتقديس الفرد على حساب حرية الشعوب وكرامتها، (سبيلا و الهرموزي، 2017، صفحة 26).

وفي خضم الحديث يرى الطاهر لبيب أن الذات العربية تضخمت في ظاهرها وانكششت إنجازاتها الحضارية، وتقلصت قضاياها الجوهرية، وتجمدت شعاراتها التقليدية بل تراجع في الوحدة والحرية وتقرير المصير،.. فارتدت بإحباطٍ مذهل إلى ذاتها منشغلةً بذاتها، تقسيمًا وتفتيتًا، فأصبح العربي عائمًا شاردًا ذهنيًا ونفسيًا و مجتمعيًا (البيب، 1999، صفحة 375).

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا تعيش السلطات الوطنية العربية اليوم أزمة انحطاط لم يشهد مثلها التاريخ؟ - في حقيقة الأمر الإجابة عن هذا السؤال تعني فهم لغز الضعف السياسي العربي -.

أولاً: فيما يخص الأمن الخارجي، فالوجود الإسرائيلي يهدد جميع دول الجوار؛ وذلك بسبب تضخيم مشكلاته المرتبطة به، ففشل السياسة القومية الخارجية كما الداخلية أضعف بشكل ملحوظ المكانة الاستراتيجية لكل دولة عربية، فاندلاع حرب الخليج وبقاء الشعب الفلسطيني يعاني من آلة القتل الصهيونية المحتلة لأراضيه، ما أفضى إلى تفاقم النزاعات بين الدول العربية نفسها وإظهار عجزها مجتمعةً على مواجهة العدو الإسرائيلي الذي يعربد على منطقة الشرق الأوسط، مما أبخس من وزنها بين دول العالم (غليون، 1993، صفحة 227).

ثانياً: الربع النفطي وأثره التخريبي على آليات السوق ونوعية الاستثمارات التي يشجع عليها، فهذا يقود السياسيين والاقتصاديين أيضاً إلى تبني مشاريع ضخمة تعكس مكانتهم ومقامهم وليس لمردودات تنعش الاقتصاد، هذا ما يسمى ب(عمى العظمة) بحيث تصبح كل دولة مغرمة بإقامة المهرجانات والاحتفالات الصاخبة وزيادة مستوى الرفاهية على حساب لقمة العيش، ولا سيما أن هذا استهتار بذكاء الإنسان وطاقاته ومحاولة جادة لعدم الاستثمار فيها (غليون، 1993، صفحة 227).

ثالثاً: الفجوة الكبيرة بين طبقات الشعب، التي تبدأ بالطبقة الحاكمة من رئيس أو ملك، ووزراء، ومستشارين، ومساعديهم، وهؤلاء يسيطرون على المشاريع الاستثمارية إن وجدت، ويتقاضون رواتب ونثرات لا تتلاءم وعملهم، فيصبحون في نظر الشعب ذا قدسية ويهتقون لهم ويمجدونهم، فسعادة

الشعب تتوقف على رفاهية حكامهم وانبساطهم، ومكانهم أعلى الهرم، أما الطبقة الثانية وهي طبقة البرجوازيين أصحاب العقارات والشركات التي تدر أرباحًا طائلة، وطبعًا للحكومة حصة فيها، وبهذا يصبح هناك نوع من تبادل المصالح بينهما، وهؤلاء في الطبقة الثانية للهرم، ثم تأتي طبقة المتعلمين والموظفين أصحاب الدخل المحدود والذين يتم التضحية بتعبهم وبدخلهم عند أول ضائقة مالية للدولة، إلى أن تُفرج وهؤلاء يمثلون الطبقة الثالثة، أما قاعدة الهرم فيمثلها عامة الشعب من الكادحين والعمال والفقراء البسيطين، وهؤلاء قسم منهم ناغم على السلطة الحاكمة ويراهم المسؤول الأول عن الفجوة بين أبناء الشعب، وقسم ليس له علاقة بالسياسة ولا بالسلطة الحاكمة، يتعايش عما هو موجود.

أيضًا تشير الباحثة إلى ظاهرة (التمسك بالكرسي) الشائعة في الوطن العربي، فمن يتسلم الحكم لا يحب أن يتخلى عنه، وإذا حدث أمر جلل وأعلن عن وجود انتخابات فسيرشح نفسه مرةً أخرى للانتخابات، وهكذا تصبح الخيارات محدودة والعرس الديمقراطي ينقلب مآثمًا.

هناك الكثير من التعقيدات السياسية في الوطن العربي، والتي لا يُعرف أساسها، مثل: عملية اختيار السفراء بالتركية، وتعيين وزير جديد أيضًا بالتركية، والغريب أن الأشخاص مُكررون ولكن يتم تدويرهم بطريقة ما، وكأن الدستور ينص على أن السلطة لهؤلاء وذرياتهم دون غيرهم من عامة الشعب.

في رأي الباحثة أن المعضلة الكبيرة التي تحول دون نجاح السياسة في الوطن العربي، أنها لا تمتلك هوية سياسية خاصة بها، وتعيش على تبعية الغرب وتؤمن السلطات العربية أن الغرب هم أصحاب التطور والتحرر والتقدم وأصحاب الخبرات، ترسم تجاربهم كأنها صور تستلهم منها معاني الحرية والديموقراطية¹، فبتبعتهم يزداد الوعي وتُبنى الحضارات، فأساليبهم الإدارية في حكم الدولة وكافة مناحي الحياة تعتمد على الحداثة، وهكذا تحاول جاهدةً إقناع شعوبها بجدوى التبعية واللاحق بالغرب.

¹ الديموقراطية: نظام اجتماعي فيه الشعب مصدر السلطة، بحيث تنتظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين أفراد الشعب بعضهم ببعض. ينظر: (الحفني، 2000، صفحة

ومن البدهي أن الدول العربية لم تجن ثماراً ناضجة من التبعية، ولم تُحقق تغييراً ملموساً كما الغرب، ولم تُنفذ الدول العربية أي إنجازٍ سياسي يكاد يُذكر ولم تستطع أن تُحسن من مكانتها السياسية بين دول العالم، إن التغيير الذي ما زال مستمرًا هو زيادة الاستثمارات لصالح الدول الأجنبية داخل الدول العربية حيث زادت من استقطاب علماء الغرب فهم نواة التقدم والنمو، كذلك تبنت الدول العربية برامج وأساليب غربية في التعليم والصناعات وغيرها، إذن الدول العربية أصبحت تلهث وراء التبعية دون أي اكتشاف لمصالحها، فهي ليست جريئة بما يكفي لتتصدى لهذا التمدد الغربي الأمريكي الممنهج الذي يأخذ بالتوسع والترسخ في الذهنية العربية، التي أصبحت تفتقر لكل معايير العزة والإباء، فالعرب باتوا عبيدًا عند أسيادهم من نصبهم ووللاهم.

ترى الباحثة أن الاستقلالية الاقتصادية والاعتماد على الموارد الذاتية ورفع قيمة الفرد أول خطوة في الحصول على الهيمنة السياسية، بحيث تبقى الدولة العربية في غنى عن الدول الأخرى تأكل مما تزرع، وتلبس مما تصنع.. وهكذا، وتتأتى الخطوة الثانية بفرض قوانين وسياسات متأصلة يكون الدين منبعها الأولي وتكون خلاصةً للتجارب الناجحة الناجعة في العالم، وليس الاعتماد على تجارب الغرب فقط لكونهم غربًا، نحتاج إلى فلترة وإعادة بناء لكل الأفكار العلمانية القادمة من الغرب، فتأخذ الدول ما يناسبها ويناسب طباعها وبيئتها وتتخلى عما هو دخيل، وضرورة فصل السلطة القضائية عن الدولة؛ لكي تحكم بعيدًا عن الهوى والتحيزات، وتفعيل دورها لكي يشعر المواطن بكيونته ووجوده، أيضًا فصل السلطة التشريعية وإبراز مهامها وتحديدها، لكي لا تتداخل مع السلطات الأخرى وتصبح الدولة ملكًا خاصًا لمجموعة من الخارجيين عن القانون أو حكرًا لفئة خاصة دون غيرها، كذلك تشدد الباحثة على أهمية إجراء الانتخابات الدورية المعتمدة في كل دولة، وإقامة دستور يكفل الحريات وأهمها حرية التعبير عن الرأي، فالمواطن العربي عانى من ويلات هذا التعبير وأصبح أصم أبكم، ومن الضرورة أن يكون جيش الدولة تابعًا للشعب وإرادته، لا أن يكون وجوده نعمة وفجأة يصبح نقمة على الدولة برمتها،

ولقد أثبتت دولٌ عديدة نفسها ونجحت في الاستقلال عن الغرب بالكامل، مثل: تجربة الصين الشيوعية، وروسيا، وهما بهذا أصبحتا من الدول العظمى التي لها مكانتها وقيمتها في العالم.

إن، فالمجال السياسي يعتمد على المجالين السابقين (الاقتصادي، والديني)، والعمل على إزالة هذا التحيز برمته كما تم ذكره آنفاً، بحاجة لتعاقد المجالات وتكاتفها، أيضاً بحاجة ماسة لإرادة الشعوب التي تعبت وعانت من هذه الأنظمة السياسية البالية، والتي أصبحت تتراجع مرةً تلو الأخرى، إلى أن وصل بها الأمر لتدخل في صراعاتٍ مع شعوبها، بحيث جعلت منهم لاجئين وهم في عقر بلادهم، وأجبرت البعض على الهروب من الواقع المرير والظلم المفروض إلى بلاد قد تكون أقل ظلمًا وأكثر أمنًا، كذلك انتهجت حكومات عربية نهج تغييب العقل وغسل الأدمغة وخرجت من ضغط الدين وكبته إلى إنفتاحٍ لا مبرر له إلا اتباع خطأ الغرب دون إعمالٍ للعقل أو استعماله.

هذا هو الحال الذي عليه وطننا العربي منذ عقودٍ كثيرة، إن الناظر في هذا الوطن يجد العالم والمنقف والطبيب والمهندس،.. وغيرهم، والمخلص في عمله، و البعيد عن الرشوة، مجتمعين فيه، نعم!، الوطن العربي فيه الخير كما الشر، فيه العالم كما الجاهل، فيه العابد كما الملحد، فيه الصادق كما الكاذب، فيه المخلص كما الخائن، فالأولى لصناع القرار التفاني في احتواء الشعب وضمه والالتفاف حوله وليس العكس، والتأكيد على مؤسسات الدولة لإنتاج أجيال واعية مدركة للهيمنة التي تحرق بها كأفراد وجماعات(دول)، كذلك تذكير هؤلاء بالسبب الأساسي لمجيء بني البشر إلى الكون وأنهم خلقوا لإعمار الأرض والخلافة فيها وزراعة بذور الخير أينما حلوا وارتحلوا، هذه السيمفونية التي على الدولة قراءتها على مواطنيها والأجيال المتتالية، متسلحةً بسلاح الدين والعلم والأخلاق، مُعترزةً بحضارتها وإنجازاتها البسيطة التي ستتحول مع التعزيز والتشجيع إلى إنجازات عظيمة.

المجال الفكري

في اللغة "الفكرُ هو إعمال الخاطر في الشيء،... والفكرة كالفكر وقد فُكّر في الشيء." (ابن منظور، 2003، مادة فكر).

وفي موضعٍ آخر فُكّرَ في الأمر فُكراً أي أعمل العقل، وهو إعمال العقل والبحث عما هو معلوم للوصول إلى معرفة المجهول في محاولة لفهمه، وهي الصورة الذهنية لأمرٍ ما (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 698/باب فكر).

أمّا الفكر اصطلاحاً "بمعناه الشامل والعام فهو عملية عقلية وكل ناتج العقل، ويختص الفكر بنظرية المعرفة والدراية والفهم والإدراك" (الجزار، 2006، صفحة 37).

فهذا الغزو الفكري الذي يدق ناقوس الخطر منذ مئات السنين ويزيد، أيقن الغرب أنه سلاح فتاك أكثر من (الآربي جي)، بعدما وصلوا لنتيجة مفادها أن المسلمين لا يُهزمون من خلال عقيدتهم التي تقوم على افتداء النفس المسلمة لإعلاء كلمة الله خالصة من خلال عقيدة الجهاد الباقية إلى يوم القيامة أي إلى الأبد، ومن هنا بدأت الدعوات الأمريكية الغربية (فكلاهما مرتبط ببعضهما بعضاً) إلى تحريف الإسلام وإخراجه من مفاهيمه الحقّة وإخراج المسلمين من الإسلام إلى مفهوم اللاهوت والعبادة (الجندي، 1987، صفحة 15).

وفي صدد هذا فإن الغزو الفكري كان سلاح الغرب في الحرب الصليبية الثالثة بين الغرب الصليبي والشرق الإسلامي، أيضاً ما تزال معركتنا الحاضرة الأبدية التي يواجهنا بها العداء الصليبي بكل ما أوتي من عزم وقوة، منذ خروج الدعوة الإسلامية من جزيرة العرب تُطلق صيحة التوحيد وتنادي بأن للكون سيدياً واحداً هو الله الواحد، الأحد،.. والناس سواسية لا ميزة لجنس، ولا لون، ولا عنصرية، فوضعت الحضارة القائمة على التوحيد الأساس الحقيقي لتحرير الإنسان، ومساواته، فعندما يصبح الشرك أكبر الكبائر، وتنتفي شبهة الألوهية أو مرتبة ما فوق البشرية عن أي إنسان كائنًا من كان،

وتختلط المفاهيم وتتبعثر،.. عندئذٍ تتحطم أسطورة ظل الله، ولا وجود للمقدس وإن كان هو أساس الوجود جلّ علاه (كشك، 1966، الصفحات 15-16).

وترى الباحثة أن هذا الغزو الذي يضرب أعماق الفكر والعقل ويتغلغل في عقول الأجيال وينتقل من جيلٍ لآخر بشتى السبل والوسائل، ما هو إلا طُعماً وفخاً للعالم العربي والإسلامي، ولا تقول أنه كاد أن يقع فيه؛ بل هو واقعٌ فعلاً وغارقٌ في ظلمات أفكارهم البالية وماضويته، وأصبح الفرد العربي يؤمن بفكرة المثالية الأمريكية ويرأها الأقوى، والأغنى، والأجدر، والأأنفع، والأجمل، وكل ما يشتهي العقل العربي المُعنف حتى في أفكاره الذاتية من وراء استبداد حكوماته وطغيانها. فهي النموذج المثالي في أفكارها تؤمن بالإنسان وطاقاته وتوفر له كل مقومات الحياة الكريمة، كما تعترف بالتعددية الثقافية¹ ولا سيما أنها أرض الفرص وتحقيق الطموحات.

وتؤكد الباحثة أن مثل هذه الأفكار بغض النظر عن آلية زراعتها في عقول العالم أجمع سواء العرب أم باقي العالم، فهي أفكار بحاجة لتعمق وفهم أكثر من أنفها فكرة لأعلاها، فمثلاً: هناك المرأة تتمتع بوزن مثالي ورشاقة على الدوام حتى لو كانت كبيرة في السن فهي تؤسس نفسها وتعمل جاهدةً في أي نوع من أنواع العمل يليق بها أو لا يليق المهم أنها تؤجر على هذا العمل مردود مادي كبير يجعلها تشتري سيارة وتقودها وتقول ها لقد تحققت أحلامي !!، فهذه مثالية مبالغٌ فيها!!، فالمرأة معززة وهي جوهرة ثمينة، تعيش حياتها، تتعلم، تبني مستقبلها، تتزوج، وتتكاثر، وتربي الأجيال،.. فإذا كان دور المرأة ووجودها في فكرهم الوضع أنها مجرد شكل ومظهر ونزوة عابرة فهذا فيه ظلمٌ كبيرٌ لدورها الذي تقلص ليكون مادة جمالية وانتقاصٌ فاحشٌ في حقوقها التي حقها الله العالم بخلقه، ومع أن الكثير من المسلمين يدركون حقيقة المسألة إلا أنهم وعلى حين غرة وبلا سابق إنذار يجدون أنفسهم تائهين في مثل هذه الأفكار حتى الكثير من النساء أصبحن يتبنين هذه الأفكار ويُسجَعن عليها ويقمن بتزيينها في عقول

¹ التعددية الثقافية: تعني الاعتراف المؤسسي بالاختلاف الإثني، وبتنوع الأنظمة الرمزية والأنساق الاجتماعية، وبتعدد الهويات الثقافية. يُنظر: (سببلا و الهرموزي، 2017، صفحة 140).

الأخريات، وهذا مثالٌ بسيطٌ من أمثلة كثيرة تحيط بنا وتزداد تجذرًا إذا لم نقابلها بعقلٍ متفتحٍ يدرك حقيقة الأشياء وبذريها، وتؤكد الباحثة أن كل هذه الأفكار لم تأتِ إلى عالمنا من فراغٍ أو بمحض الصدفة؛ بل هذا ما خلفته العلمانية والغزو الثقافي والاستشراق والماسونية وغيرها من النظريات والجمعيات السرية والفكرية التي نخرت في أمتنا نخر السوسة في السن.

فالماسونية¹ التي تُعرف باسم البناء الحر "من أعظم الجمعيات السرية وأقدمها التي ما زالت قائمة ولها شُعبٌ وفروع في معظم الأمم المتعدنية، ولكن منشؤها ما زال غامضًا مجهولًا، وغاياتها الحقيقية ما زالت سرًا حتى على أعضائها أنفسهم.. وقد تستخدم لأي غرض اجتماعي أو سياسي أو إنساني أو ديني، وقد تستعمل للبناء أو الهدم لحماية نظام، أو سحقه، لحماية الدين أو هدمه، لتأييد القانون والنظام أو بث الإباحة والفوضى." (عدنان، 1926، الصفحات 87-100)

والغريب العجيب في مثل هذه الجمعيات سريتها وسياستها التي لا يُعرف ماهيتها، ولماذا كل هذه السرية؟ أوليس كل ما هو سري وضبابي فيه نوع من الخطورة والكتمان على شيء جوهري ومهم!، "وهكذا تكون السرية أمرًا مفيدًا عند وجود التنظيم الذي يسعى لتحقيق مصالحه دون أن يتعرض للمساءلة عن أخطائه في الوسائل والغايات" (يوسف، 2007، صفحة 15).

فمن أهم أسس هذه الجمعية أنها طلبت من أعضائها الإعلان عن اعتقادهم بأن المهندس الأعظم على حسب رأيهم (الله-جل علاه-) ليس إلاً خيالًا وحديث خرافة وصرحت المحافل بإلقاء المطاعن الحادة في الدين ونقده وهدمه والسخرية من مبادئه، ومن هنا جاءت فكرة الاستشراق والمستشرقين الذين يقفون موقف الناقد المنظر على ثقافة العرب والمسلمين بحجة البحث وإجراء الدراسات، كذلك العلمانيون الذين ينادون بتحبيد الدين فعلى عاتقهم يتم الكثير. والذي يرجحه أغلب الباحثين في حقيقة البناء الحر وأصل تعاليمه الفلسفية قديم جدًا قد يرجع إلى الكابالا² اليهودية وإلى بطارقة العصور الوسطى، وفي

¹ وتعني Freemason ماسوني، عضو جمعية البنائين الأحرار. الماسونية، تعاطف: Freemasonry

² والمقصود بها "التراث الصوفي اليهودي الحلوي، وهي ذات طابع حلولي كموني غنوصي متطرف، وقد سيطر الفكر القبالي على التفكير الديني اليهودي منذ القرن السادس عشر، وأشد أنواع القبالات حلولية وتطرفًا القبالة اللوربانية نسبة إلى إسحق لوريا، ومن أهم كتب القبالة كتاب الزوهار." (المسيحي، 1999، صفحة 30).

مجمّلها هيئة هدامة تقصد إلى سحق جميع المبادئ الدينية والأخلاقية (عدنان، 1926، الصفحات 99-104).

فالتحيز الفكري الذي يحيق بأمتنا لا يكاد يتوقف وخاصة مع ظهور مصطلحات مثل: الواحدية المادية¹، العقل المادي²، المثالية، المادة روح العصر،.. وغيرها من المصطلحات التي زوت أفكارنا إلى اتجاهٍ آخر غير محمودة عقباه، فهناك مدّ أمريكيّ داخل عقولنا ونفوسنا، فالنموذج الأمريكي يفرض نفسه علينا بقوةٍ متزايدة، والأسلوب الأمريكي في الحياة، الذي يرفضه الكثيرون في العلن يُقابل في السر بإعجابٍ متزايد، ولا تفتأ القوة الأمريكية العسكرية والاقتصادية والإعلامية تبهر أعدادًا متزايدة من العرب، ولو تأملنا بإمعان المحيطين بنا من الناس لوجدنا نسبة كبيرة منهم تؤمن، داخليًا على الأقل، بفاعلية وصفة الدولة الأمريكية؛ حيث إنها بنت نفسها في قرنين من الزمان، فأصبحت أعظم بلاد العالم، فاتّباعنا للنموذج الأمريكي سيجعلنا بدورنا عظماء متقدمين، وسينقلنا من الفقر إلى الغنى، ومن الضعف إلى القوة (زكريا، 2019، صفحة 8).

فالنسبية التي يتغنى بها الغرب ليست إلّا عيارًا ناريًا يُطلق النار بتهورٍ دون تمييز، فيصيب المُطلقات والمُسلّات في التقاليد العربية وما فيها من مبادئ التسامح وحرية الفكر؛ فليس هناك ما هو حقيقي أو صحيح بصورة مطلقة (فوكوياما، 1993، صفحة 288).

ويرى خيرى منصور أنه بعد بزوغ فجر الوجه الأمريكي ستظهر تغييراتٍ متسلسلة تكون بدايتها نهاية القرن الماضي وأما نهايتها مجهولة لا أحد يعلم مداها، وإذا كان لكل إمبريالية ماكياجها، فإن الماكياج الأمريكي يتكون من طبقاتٍ متنوعة من طلاء التجميل ومساحيقه، فهناك أسطورة حرية الفرد المطلقة

¹ "توحّد الإنسان بالكون مع استبعاد الإله تمامًا، وهذه الرؤية تشكل الإطار المعرفي النهائي لكل الأيدولوجيات العلمانية الشاملة الحديثة، فهي تجعل الإنسان موحّدًا مع الطبيعة وتستبعد المقدسات والغايات الإلهية والإنسانية كافة باعتبارها أمورًا مفارقة للمادة وقوانينها. (المسيري، 1999، صفحة 27).

² العقل غير قادر على التمييز بين الطبيعي والإنساني، فيرد كل شيء إلى المادة وقوانينها الحتمية الثابتة غير الإنسانية، فالإنسان يصبح كائنًا تحركه غريزة البقاء المادي والنفع المادي المباشر. (المسيري، 1999، صفحة 26).

في التفكير والعيش والحياة، والتضليل الإعلامي، والأفلام السينمائية، والإنسان ذو البعد الواحد، والأدب الإعلاني وأهدافه، وخطابات مضللة، ومحاور ثقافية (منصور، 2005، الصفحات 95-97).

وتكمن معضلة الفكر العربي والإسلامي وآلية تفكيره، بجعل هذا العقل براغماتيًا نفعيًا يقدر نفاهات ويلحق جماعات دون أن يكلف نفسه في التفكير فيها ولو هنيهةً، فيصبح المد الأمريكي يتزايد بلا قبول للجزر، مسفرًا عن كشف التحيزات العالمية.

إن الغرب المتأمر كحشد قواه كلها لاحتواء فكر ومجتمع المسلمين من أجل استدامة سيطرته ونفوذه، وقد أعدَّ العدة لهذا الزحف على نحوٍ واسعٍ وعميقٍ، وكان أكبر أهدافه هو تربية جيلٍ جديدٍ في أحضان الأمة على مفاهيمه وقيمه ليكون بديلًا عند خروج احتلاله العسكري، ويتم جلب المبشرين بلباس العلماء وهم يحملون في نفوسهم أحقاد الكنيسة وبغضهم اللاذع على الإسلام والمسلمين، ويتبع ذلك طرح نماذج فاسدة لتوهين قيم الدين والأخلاق والعرض والشرف، بدءًا من الكابريهات إلى الخمور والمراقص، وفي مجال التعليم والتربية قدم ما يناقض عقيدة التوحيد سواء نظرية دارون¹ أو مفهوم الربا، أو التحرر الاجتماعي، وهلم جرا؛ وذلك لإسقاط القيم التربوية الإسلامية (الجندي، 1987، صفحة 13).

في حقيقة الأمر لقد وجد النفوذ الغربي مجتمعًا ضعيفًا خائرًا منهكًا، وقوى مجاهدة تؤمن بنفسها وعقيدتها هزمتها الخيانة والعمالة التي أصبحت من أهم ملامح الوطن العربي، كالخيانة التي هزمت عبد القادر الجزائري، وعرابي، وأبو عبد الله الصغير، والقائمة تطول وما يزال نهج الخيانة مستمرًا، وبعدها ظهر جيل سيطر عليه ورباه النفوذ الاستعماري ومضى في خطة الحصار والاحتواء وزرع ما يشاء في هذا النشء الصغير واضعًا نصب عينيه تقويض المجتمع والأسرة والعائلة وكل الأعراف الصحيحة مقابل نشر الإباحة والإلحاد والشعائر الوثنية وهزيمة العقل الإسلامي ومحاولة النيل منه،

¹ نظرية دارون اعتبرت لدى أوساط كثيرة البديل الوحيد لفكرة الخلق، فصاحب النظرية "جارلس دارون" يرى أن الكون والحياة هما نتيجتان للصدف، والتطور ليس إلا سلسلة من الصدفة كذلك، فيستند إلى الخيال أكثر من استناده على العقل، فيحاول تفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى خالق، فالأصح النظر إلى هذه النظرية كجزء من الدعاية المادية، وليس كنظرية مستقلة. (تيروسي، 1980، الصفحات 10-14)

وإحلال مفاهيم جديدة في النفس والاجتماع والمعاملات والقيم والأخلاق؛ كل ذلك لتدمير المجتمع الإسلامي الذي يهدد وجودهم، فهو كالثوك المغروسة في أقصى حلقهم (الجندي، 1987، صفحة 16).

”فالحرب سجال..بيننا وبين الحضارة الغربية وأرض المعركة الآن هي الفكر..ومحاولة اقتحام القلعة الإسلامية بالأفكار والمبادئ والقيم..حتى يتم خلع القيم الإسلامية..وتدمير المُثل العربية لكي يتحول المواطن العربي إلى قرد يُحاكي الحضارة الغربية، ويقضي العمر في اقتفاء أثرها بلا أمل في التفوق..قد رضي بدور الظل..وأنى للظل أن يسبق سيده؟“ (كشك، 1966، صفحة 56).

هذا هو حالنا اليوم الحرب مشتعلة على الأصعدة كافة، أحياناً عسكرية وتخدم ومرةً اقتصادية وتخدم....وهكذا، ولكن الحرب الحقيقية هي حرب الأفكار والمبادئ هي حرب العقل، هي حرب على العلم والعلماء، والسؤال الذي تنتبه له الباحثة والعرب بعامة أين علماء أمتنا؟ أين الخبراء والقدرات؟ لماذا نجد العالم والمتعلم القدير منا بعد أن يظهر إبداعه للنور يلمم متاعه إلى دولٍ كبرى تفخر بإنجازته وتقدره حق التقدير؟ أليس وطنه أولى به؟ أليس على الوطن والحكومات العربية مسؤولية ثقيلة وهي احتضان مثل هذه العقول النيرة؟ وإلا كيف تُبنى الأوطان وتُعمّر، وكل من يجتهد لأجل النهوض بوطنه الضعيف يرى وطنه يقذفه بعيداً معلناً تخليه عنه، وأنه لا يصلح لهذا الوطن والوطن لا يصلح له، أنتخلى الأم عن أبنائها لأنهم يريدون لها الخير والصلاح؟! أنتخلى عنهم لأنهم اهتموا إلى عجلة التنمية والاستدامة!...والأسئلة بحق لا تتوقف هي كثيرة تجعلنا مذهولين فعلاً بحيث تخرج كلمة لماذا من صميم قلوبنا يعصرها الألم مع صوت حشرجة، تلك الحشرجة التي تنجم من قهرنا على حالنا الذي يرثى له، أين كان العرب والمسلمين وأين صاروا؟.

فمرحلة ما بعد الكولونيالية وما تلاها تبني الغرب سرديّة أطلق عليها الحضارة العالمية التي عليها أن تسود العالم، ورسمها على هيئة حضارة متفوقة، وهي في سعيٍّ مستمر للسيطرة على العالم، تزعم أنها حضارة عالمية تصلح لكل زمانٍ ومكان، وباسم العالمية الأممية تدعو الآخرين إلى التخلي عن قوميتهم

وسيادتهم وتنحية حضارتهم، والفناء أو الولاء لحضارتها المتفوقة، وبقدر إيمانها بالعالمية وإصرارها على أن يسود الجنس البشري نظامها السعيد-الذي تدعيه- تكون وحشيتها ودمويتها (كشك، 1966، الصفحات 42-43).

وترى الباحثة أن مجرد وقوفنا مذهولين من هذا الحال هو بداية البداية، وأول خطوات التغيير أن نعي جيداً لهذه المعضلة (الهيمنة الأمريكية الغربية) التي تحق بنا وتحاصرنا من جميع الجهات مطبقةً على أنفسنا متحكمةً في تفاصيل حياتنا، فالعقل العربي لم يمت والمفكر المسلم لم يستسلم لكل مغريات الدنيا الزائلة، فالدور على هذا الجيل الصاعد الغارق في غياهب الأفكار الغربية ومع هذا يعلم جيداً عن المؤامرات التي تحاك للعالم العربي الإسلامي المتخلف كما يزعمون دائماً، هذا الشباب الذي يعلم بدسائس الغرب ومراوغاتهم تنقصه ثقة الحكومات العربية التي طالما وُصفت بالاستبدادية لا تقيم وزناً لشعبٍ أو حراكٍ أو اعتراضٍ أو حتى مسيرة سلمية تطالب بأبسط الحقوق، فإذا الحكومات لم تكن قلوبها على شعوبها وأبنائها، فعلى الشباب ألا يقفوا مكتوفي الأيدي يهبوا لمؤازرة الحكومات والقيام بإصلاحات جذرية وتفعيل دور الشعب والتفكير جنباً إلى جنب مع حكوماتهم ليس للضغط عليهم وزيادة الفجوة؛ بل خلق عملية تقريب الشعب في صنع القرار بعيداً عن مصطلحات الغرب وسياساتهم، كذلك هناك نقطة في غاية الأهمية وهي على حكوماتنا العربية أن تتركها وتعيها جيداً - لكي تجني الإصلاحات ثمارها- على مسؤولي الدولة التواضع والنزول إلى مستوى عامة الشعب فالرئيس والوزراء هم خدم للشعب ولمصالحه، وليس العكس، ومهمتهم الحرص على تحضر¹ الوطن أولاً وأخيراً من خلال دحض الجمعيات والبرامج الغربية وغربلتها، التي تأتي مدعومة من الغرب الأمريكي والتي هي في صورتها العامة بريئة ولديها نوايا حسنة ولكن في تفاصيلها غزو فكري متعمد يهدد الوطن العربي ويزيد من زلاته وهواناته، وتكرر الباحثة أن الوطن العربي ما يزال يواجه الحرب الفكرية بل هي في تزايدٍ مستمر تتلوى في جميع مجالات الحياة، وعلينا أن نوقفها ما دمنا مدركين لحجم الدمار الذي تسببه

¹ التحضر: هو مجموعة الآداب والسلوك والقيم التي تنظم العلاقات بين الأفراد في مجتمع يحظى بخصال أخلاقية متجردة من الاندفاعات الغريزية بعيدة كل البعد عن الهمجية والوحشية. ينظر: (سبيلا و الهرموزي، 2017، الصفحات 113-114)

وهول المصيبة، والدور الثقيل على الدولة ومؤسساتها كافة، والمؤسسات التعليمية التي بدورها تخرس بذور الفكر والعلم في عقول الأبناء والبنات وتتبنى نظرياتهم الفكرية وتدعمها في الاتجاه الصحيح، كذلك للأهل والشريحة المحيطة دور عظيم في تدعيم ركائز الفكر الصحيح والتربية الفاضلة في نفوس أبنائهم من البيت قبل الخروج إلى العالم الغامض الذي يجرف كل ضعاف الفكر القويم، والعقل السليم.

المجال اللغوي

إن اللغة من أهم وسائل الاتصال والتواصل بين الناس والعوالم المختلفة، وهي مصدر قوة ومحط أنظار، تعلقو بعلو ناطقيها وتضعف بضعفهم وبالعزوف عنها، ومن معجزاته جلّ علاه اختلاف الألسن واللغات بين الأقسام؛ ليتعارفوا ويتعاونوا فيما بينهم، حيث قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات:13]،

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ اللَّسَانَ لَكُمْ وَالْوَيْكَمَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم:22].

فالاختلاف والتنوع في الثقافات واللغات والأجناس أمرٌ ربانيٌّ متفقٌ عليه، وقد حبا الله سبحانه وتعالى - اللغة العربية مكانة خاصة عن باقي لغات العالم وجعلها لغة كتابه الكريم العظيم، وتعهد بحفظها إلى يوم الدين، رغم أنف الحاقدين وكيد الكائدين.

وبما أن اللغة مرتبطة بأهلها فاللغة العربية في هذا العصر مضطربةٌ كاضطرابهم على الأصعدة كافة، فكرياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً وهلم جرا، فالثوابت الفكرية التي توحد الرؤى وتجمعها تحت راية واحدة شبه معدومة، الانسجام والتعايش الاجتماعي يضمحل أكثر وأكثر، روح التعاون والإخاء أصبحت عملة نادرة بين شعوبها، فتقسمت أقوام هذه الشعوب، فمنهم من اختار أن يهرول نحو التغريب، فيغترب بلغته وفكره بحجة التنويع والتحضر، ومنهم من بقي متشبثاً بماضيه وموروثه القديم منغلماً على ذاته

دون تبصر لمجريات التغييرات الزمانية، وقسمٌ أخير اختار الصمت والوقوف الجامد وهم الكثرة الغالبة، لا يدركون لأنفسهم موقعاً في معترك الحياة الفاصل، ينتظرون زوابع الرياح تقلهم يمناً أو يسرةً كما تشاء هي لا كما يشاؤون ويختارون (بشر، 1999، صفحة 27).

إن التحيز اللغوي على اللغة العربية بحد ذاتها واضحٌ وضوح الشمس في السماء، نستشعره في جميع المحافل والمطرح، وأضحت اللغة العربية نائية عن أبنائها، وهم تخلوا عنها وتركوها وحيدة، متناسيين أن اللغة عنوان الأمم وأصالة الهوية وفخر الانتماء، فلا يوكل للأمم أن تعلي من شأن لغات وافدة على حساب لغتها الأم وتمجدها، فمثلاً نرى الأمم تتعلم اللغة الإنجليزية وتتدارسها بحجة أنها لغة عالمية وتقدم المسوغات لذلك، وتترك اللغة العربية جانباً على أساس أنها غير عالمية، محصورةً للعرب (مقتصرةً للورى كما يدعون) وهنا يكمن التحيز.

إن الوضع اللغوي في المجتمع العربي الحاضر يُشذ به عن العديد من المجتمعات والأمم في العالم، ويعود أساس ذلك إلى عهد الانحطاط الحضاري المادي والمعنوي والتقهقر الممهد للاحتلال المدمر الذي ضاعف من وطأته وشدده من قبضته على جميع الأقطار العربية في المشرق والمغرب، وإذا خرج المحتل عسكرياً بشكلٍ علني فإنه عصيٌّ عن الخروج من العقول العربية، فاحتلال الأراضي أقل خطورة على مستقبل الشعوب المتحررة من احتلال العقول واللغات والفكر، فهي تتجذر في الأعماق ويصبح من الصعب الخلاص منها (نعمان، 2008، صفحة 17).

حقيقةً لن يندم العرب على شيءٍ كما سيندمون يوماً على أنهم لم يُلبوا نداء لغتهم وهي تستجير بهم منذ عقودٍ عديدة أن أدركوني قبل فوات الأوان، هتفتُ همساً منذ أيام الاستعمار والانتداب ثم صاحت عند انقشاع غمته، وهاي هي لا تبرح تشكو وتستصرخ أبناء جلدتها، لعل وعسى أن يحاولوا ولو محاولة وأن يحرزوا تقدماً فيها (المسدي، 2014، صفحة 12).

وفي خضم هذا دخلت اللغة العربية في صراع مآجج مع اللغة الإنجليزية، وأُتهمت بالجمود والرجعية، مما دفع ببعض النخب إلى إرسال الصيحات هنا وهناك، وأساس هذا يعتمد على عدة عوامل وظواهر أبرزها: ظاهرة الكونية الثقافية المستترة بعباءة العولمة وامتداداتها وأن هناك لغات عالمية كالإنجليزية يجب أن تكتسح العالم في انتشارها كونها لغة الدولة الأمريكية الأكثر حضارةً وعلماً وتقدماً، متجاهلةً لغات شعوب الأرض الأخرى، العامل الثاني ظاهرة التهمة الجاهزة التي أصبحت تُردد بلا فهمٍ أو وعي، فأشاعت أن الإسلام و الإرهاب وجهان لعملة واحدة، ثم روجت أن العرب والإسلام هما الصورة وانعكاسها، وبهذا تشكلت خلفية نمطية عن أن اللغة التي جاء بها الإسلام ونزل بها نصّه المقدس تحمل في كينونتها بذور العنف وصدى التخلف ومنابت البغضاء، فهي بذاتها عدوانية تسوق العداء وتعرض على الفساد (المسدي، 2014، صفحة 12). عاملٌ آخر هو النظرة الدونية للغة العربية من أهلها قبل غيرهم، فأهل العربية (إلا من رحم ربي) تجدهم يحاولون جاهدين في إخفاء هويتهم العربية والتحدث بالإنجليزية بطلاقة كبيرة، أو حتى دس بعض الكلمات الأجنبية في حديثهم للتعبير عن وضعهم الاجتماعي أو عن ثقافتهم الكبيرة، وتوجه بعضهم إلى تعليم الأطفال منذ نعومة أظفارهم على مصطلحات وجمل بالإنجليزية، والتحدث معهم من خلالها، هذا إن لم يُلحقوا أبناءهم بمدارس وجامعات إنجليزية خاصة، وهذا ما يسمى باللغة الاجتماعية التي تتلاءم مع طبقة رؤوس الأموال وأصحاب النفوذ الاقتصادي، فماذا يفعلون باللغة العربية؟! فهي لغة أجدادهم عفا عليها الزمن وأصبحت بالية هذا ما يؤمنون به أو على الأقل ما يعتقدونه، حتى لافتات المحال التجارية والمطاعم وغيرها أصبحت تكتب بالإنجليزية وهذا فيه نوع من الذكاء التجاري؛ كلما كان المحتوى أجنبيًا ومن الشركات العالمية الإنجليزية زاد الطلب عليه، هذا هو التحيز فكل مجال مرتبط بالآخر وتابع له (فيصعب الحديث عن مجال واحد دون ذكر الآخر) ويترسخ هذا التحيز في ذهنية المواطن العربي أن كل ما هو غربي ذو جودة وحسناته كثيرة مع أنه مجرد عنوان مكتوب بالإنجليزية وحسب! وتصور مدى هول المصيبة لو ترسخ كما ذكرنا أنفًا في عقلية الطفل الصغير الذي يتعلم في المدارس الإنجليزية ويستقي لغتهم وفكرهم وتصوراتهم عن كل شيء، فسيكون مستقبل هذا الطفل إنجليزيًا أكثر من الإنجليزيين أنفسهم، وهكذا

اختلفت اللغة العربية في المعاملات بين الناس والمعاملات الرسمية والتعاملات الدولية وإن وُجدت تجدها مغلفة بلهجات مصطنعة ورطانات محشوة بمفاهيم من هنا وهناك.

وفي غالب الأمر لا ننفي وجود مستويات من الكلام كاللهجات العامة والرتانات المحلية ذوات أخلاط وأمشاج نافرة متباينة تحاول من جهتها تضيق الخناق على الفصحى تسلبها ساحتها وتثير الفوضى بين صفوفها، فمثلًا هناك لهجات تخص المشرق العربي دون غيره ورطانات تخص المغرب العربي وحده، هذا الاختلاف والتغير خلق حاجزًا بين هذه الأمم من شأنه إعاقة التفاهم والتواصل بين أبنائها وقطع أو أصر التعاون بينها حتى يصير القوم الواحد فرقةً وشيعاً متنافرة؛ بحيث يتعمق هذا الاختلاف ويصل إلى تباين في الرؤى وأنماط الثقافة والاتجاهات فيصبح الوطن العربي الكبير مشتت المعالم مجهول الهوية، فنفوح رائحة البغضاء وتهب ريح السموم ممن يعادون العربية وما أكثرهم، فيسهل استساغته وتقسيمه والسيطرة على مقدراته، وبالتالي تفكيك النسيج العربي، ونزع هويته التي تضرب عقب التاريخ (بشر، 1999، الصفحات 35-36).

أن اللغة العربية تعرضت لخيانةٍ عظمى من ناطقيها عامةً والشاغلين فيها وعليها خاصةً عندما أهملوا عامل الزمن وما تبع ذلك من عدم الاعتراف بتطورها وتجدها وبالمعنى الأدق فرضوا على لغتهم الرسمية الجمود وقيدوا وثاقها، بحيث امتنعوا عن دراستها والغوص فيها واكتفوا إلى حدٍ معين متوقفين عن التحري في بيئاتها الجديدة وفتراتها الزمنية المتلاحقة، هناك دراسات عديدة حُرمت منها كان بالإمكان أن تأخذ بيدها نحو النمو والانتعاش والتطور المرجو، وهذا العامل زاد الطين بلاءً، وجعلها تتراجع أكثر نطقاً واستعمالاً (بشر، 1999، الصفحات 135-136).

وأمرٌ آخر غاب عن العاملين في العربية وأهلها أيضًا، كيف نريد أن يستقيمَ العود والظل أعوج؟! فلماذا ننتظر من اللغة العربية نفسها أن تنتج أسماءً ومصطلحات عربية لصناعات ومنتجات واختراعات أساسها غربي؟! ونحن نستهلك ولا ننتج، مهمتنا التقليد لا الإبداع والتجديد، نحفظُ حفظًا ولا نحاول أن

نفهم، نتأثر ولا نوثر، نشترى بالمال ولا نقايز بالأعمال، نأخذ ولا نقدم، أصبحنا قوالب من السيلكون يُعاد صَبُّها مرةً بعد أخرى، فالمعادلة باتت واضحة، الحضارات في الدول الغربية تلد وتنتج ونحن العرب نهول مع الزمن لنبحث هنا وهناك عن أسماء للمواليد الجدد وهذا أصله فرنسي وآخر أصله أوروبي.. وهكذا، ويا ليتنا تمكنا من القيام بمهام البحث والجمع والتحصيص، وطبقنا ما أوجدنا من مصطلحات داخل كتب موثقة، وذلك كفيل بإثراء اللغة العربية وجعلها مواكبة لتغيرات العصر (نعمان، 2008، صفحة 150).

ودور اللغة العربية مفقود في حياة شعوبها، ومجمعات اللغة العربية ومؤسساتها محدودة جدًا في فرض بصماتها للحفاظ عليها، فالشعر العربي الأصيل أصبح من الماضي العريق الذي لا يمكن الرجوع إليه إلا فقط بقراءته واسترجاع الأجداد فيمرّون عليه مرور الكرام دون إحداث جلبة؛ لكي لا تمتلئ أنفسهم غيرةً أو قنطرة، والأهازيج والطرب أصبحت تقتصر على المغنيين والمطربين الذين يتفوهون بلهجاتٍ أقرب للعامية المنكسرة التي بلا هوية أو عنوان.

ولا شك أن نظرة الإغرام والإكبار التي تنظر بها العين العربية للأوروبية أو للأمريكية هي التي جعلت العربي يقلد دون إدراك، جعلته يحاكي دون أن يشعر هل هو في الاتجاه الصحيح أم لا؟، جعلته ينظر ويتمنى أنه سالكاً درب التقدم والتحضر، دون أن ينتبه إلى الشذرات والمطبات، فإتقانه للغة الإنجليزية يجعله يستغني تمامًا عن اللغة العربية إلا في بعض التعامل مع فئات معينة من الناس، فيبدو كالغرب في تحضرهم كما يعتقد، فلا عليه أن يرهق نفسه في اللغة العربية وتطورها أو حتى البحث فيها.

وفي الحقيقة على كل من يقول عن نفسه عربي عليه أولاً وقبل كل شيء أن يعتز بهويته ويفخر بها وألاً يخفيها ويشعر أنها ناقصة ويبدأ بتعبئتها باللغة الإنجليزية سواء أراد أن يُعرف عن نفسه أم أراد أن يفتح محلاً تجارياً ويُطلق عليه اسماً أو إذا خرج ليمثل دولته العربية في إحدى المحافل الدولية أو المؤتمرات العلمية فعليه أن يقدم أولاً باللغة العربية ثم يعيد ذلك باللغة الإنجليزية أو بلا إعادة يُحضرون

له مَنْ يترجم لغته؛ لكي يعرف الطرف الآخر أن اللغة العربية تستحق أن يتباهى بها ناطقوها، وأنها ليست لغة التخلف كما ألقوا بها هذه التهمة الباطلة، ولو أن كل من يمثل دولة عربية ذهب إلى دولة غربية وظلَّ متشبَّهًا بلغته العربية لفهم العالم الغربي هذه الرسالة باكرًا جدًّا، أمّا أن يذهب الطبيب، أو المهندس، أو المثقف، أو حتى الرئيس ليمثل بلده العربي ويتحدث ويناقد بالإنجليزية ويضع لغته العربية جانبًا، فهذا أكبر دليل على نجاح الحملة الأمريكية الغربية على اللغة العربية وأن هذا العداء قد أتى أكله ليس من ناحية اللغة فقط بل من كل النواحي.

فعلى علماء اللغة العربية والباحثين فيها ومعلميها واجبًا كبيرًا عليهم أن يدركوه، فالعلماء عليهم ألا يتوقفوا عن دراسة الظواهر اللغوية واستعمالاتها التي تتطور مع تقدم الزمن حتى وقتنا هذا، عليهم أن يجذبوا الطلبة الباحثين؛ ليضيفوا كل ما هو جديد وتظل اللغة متيقظة دائمًا ومتجددة، كذلك فكرة أن ينشغل المتعلم والمثقف بلغته سيدرك مرةً بعد أخرى ويؤمن تمام اليقين أنّ هذه اللغة معجزة الله، ولا ضير لو توصل الواحد منهم إلى تسجيل علمي لتاريخ اللغة الأمر الذي حرمت منه مقارنةً بغيرها من اللغات.

أمّا معلمو اللغة فيقع على عاتقهم ترسيخ حب اللغة العربية منذ الصغر، فالطفل الصغير إذا أحب هذه اللغة وأتقنها وكان جيدًا فيها فإنه سيحبها ويتمسك بها لا محالة ويكبر متربّيًا عليها، ولو تذوق الطالب من صغره الشعر العربي وتعرف إلى تاريخ الشعر الجاهلي وما بعده من عصور وتعرف إلى الشعراء والأدباء وحياتهم بطريقة محببة قريبة للنفس وليس من خلال التلقين وأنها مادة لا بد من حفظها، فمثل هذه الأمور تنفر الطالب وتشعره بالضجر. كذلك على المعلمين تشجيع الطلبة على القراءة والاهتمام بالمكتبات وفتح نوافذ التفكير لدى الطلبة، وعمل مسابقات في الكتابة والخط الجميل والقراءة، ومسابقات في التحدث بالعربية بطلاقة، وغيرها من المسابقات والفعاليات التي تحمس الطلبة وتشجعهم على حب اللغة العربية.

أيضاً على الدولة عليها واجبٌ كبير هو أن تفتح ذراعيها لكل ما تم ذكره سابقاً للعلماء للباحثين للمعلمين للمتعلمين للطلبة، وتسهم إسهاماً فاعلاً في المسابقات السنوية الكبيرة، وعليها أن تجعل اللغة العربية لغة أساسية لا مفر منها وتنتقي شخصيات تعزّز بلغتها وحضارتها، متى سيدرك الناس أن إتقانهم وتعلمهم للإنجليزية وغيرها من اللغات نوع من الثقافة ولا يعني بالضرورة أن يكونوا أشخاصاً ذوي وعي وتحضر، ولكن ألاً يتمسك بثقافتهم ولغتهم على حساب لغته وحضارته، ويجعلها لغة التواصل والرسميات، فتطغى على تفاصيل حياته وسيرها. كذلك على الدولة أن تهتم بمراكز اللغة العربية ومجمعاتها وتكرم القائمين عليها، وتؤكد على دورهم وأهميتهم في حفظ اللغة، عليها أن تزيد من المكتبات العامة ودور القراءة والشعر، كذلك تتبنى فكرة إنشاء برامج ثقافية تخص اللغة العربية وتكون على مستوى إقليمي ثم تنتشر لتصبح على مستوى عالمي، مثل هذه البرامج تزيد من شهرة اللغة وعالميتها وألفتها لدى متحدثيها وغيرهم.

وأخيراً اللا منتمين للثقافات الغربية (كالوالدين) وغيرهم عليهم أن يكونوا أكثر وعياً ومتيقظين للأخطار التي تحق بهم وبأبنائهم، فعليهم أن يزرعوا في أبنائهم فكرة أن اللغة العربية لغة قرآنا العظیم، علينا أن نتدبره ونزيد من رصيد هذه اللغة في المنهج الحواري، والسرد الروائي، والجزم بأن تعلم اللغات الأخرى هو نوع من التعلم والثقافة وليس له علاقة بالعامل الاجتماعي و التحضر.

فإذا كانت هناك حضارة يُستحق الفخر بها فهي الحضارة العربية الإسلامية، وإذا كانت هناك هوية يتوجب الاعتزاز بها فهي الهوية العربية، وإن كانت هناك لغة جديرٌ بنا أن نكرمها ونولي عنايتنا بها فهي اللغة العربية بلا شك.

في مجال السينما

بدايةً كلمة السينما من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية وهي كلمة معربة.

وسينما: "بكسرتين، الصور المتحركة على الشاشة أمام الناظرين، والدار التي تُعرض فيها هذه الصور وصناعة الأفلام. وتُكتب بالياء (سينما) وهي اختصار لسينماتوغرافيا¹ باليونانية ومعناه تسجيل الحركات" (عبدالرحيم، 2011، صفحة 126).

والسينما وسيلة من وسائل التعبير والثقافة، وما يزيد من قيمتها أنها قادرة على الجمع بين الصوت والصورة في آنٍ واحد، وهذا ما يجعل المشاهد أكثر تفاعلاً معها كونها تُعرض على الشاشة أمام ناظره، وقد مرت السينما بأطوار عديدة إلى أن وصلت لهذا الشكل النهائي المتعارف عليه في وقتنا الحالي، وليست الباحثة في صدد تتبع التطور التاريخي للسينما، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن السنين العشر التي تبعت الحرب العالمية الأولى تميزت بازدهار السينما الأمريكية ورخائها، لدرجة أنها سيطرت على ما نسبته 60% إلى 90% من البرامج في جميع أنحاء العالم كذلك خصصت مئتي مليون دولار كل سنة؛ لإنتاج أفلام تجاوزت 800 فيلم، وأدى طرح مليار ونصف المليار من الدولارات للاستثمار في السينما والأفلام إلى تحويل السينما إلى مشروع يشبه أكبر الصناعات الأمريكية، كصناعة السيارات، وال فولاذ، والبترو، وغيرها من الصناعات، أي أصبحت إنتاجاً تتبنى صناعته وتطويره (سادول، 1968، صفحة 233).

تقدم الولايات المتحدة الأمريكية عنايةً كبيرة بالسينما، وتُبدد مبالغاً بأرقام هائلة في مجال الاستثمار والإنتاج والإنفاق على الهوليوود ومجالات التمثيل، وهي تسيطر على كل هذه النسبة في العالم، فإنتاجها الضخم يداهم كل بيت في العالم بأسره، ومما لا شك فيه أن الأفلام والبرامج التي تقدمها تحمل تحيزاتٍ

¹ والسمناتوغراف جهاز يعكس الصور المتحركة على الشاشة أمام الناظرين، اخترعه لويس لوميير بمساعدة المهندس جوليس كاربينتير عام 1895م.

خطيرة قد لا يشعر المُشاهد بها ولا يعطي لها بالاً في بداية الأمر ثم بعدها تصبح في اللاوعي الجمعي ويعتاد عليها المُشاهد كَمُشاهد عادية بريئة، تُباغت المشاهد العربي وتُعرض في دور السينما العربية.

وبطبيعة الحال فإن الصور السينمائية كفكرة وُجدت لتُفتن المشاهد وتجذبه سواء أكان عربياً أم غربياً، وهذا ما جعلها متفردةً بقطاع اللذة البصرية الذي يضم قيمة الترفيه والترويح عن النفس، وبسبب الأزمة الفكرية أهمل الإنسان الرؤية السليمة للغايات وركزَ على تعزيز سعادته وإن كانت آنية قد تزول في أي لحظة إلا أنه أثر الإدمان على هذا الفن والاستمتاع به لحظة بلحظة؛ لأنه وجد اللذة التي يفتقدها في حياته السوداوية وواقعه المحبط، ولعلّ هذه السينما تجعله يعيش في نعيمٍ كان يحلم به ولو لسويغات معدودة (المحمود، 2011، صفحة 76).

والعجيب في الأمر أن الأفلام الأمريكية تحصل على غالبية موارد دور العرض في كثير من الأقطار العربية، تتبعها في ذلك أحياناً الأفلام الفرنسية، وتأتي في المرتبة الثالثة الأفلام المصرية، ويرجع ذلك لاعتبارات تجارية أكثر من كونها قضايا فنية، ومما لا شك فيه أن السينما وسيلة ممتعة ورائعة للتبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب والأمم، أيضاً طريقة مُثلى لتوسيع الإدراك وتقبل الآخر، لذا من البعيد أن يحتكر بلد معين الإنتاج القومي لبرامجه وعروضه؛ لأن هذا لا يصب في مصلحته الخاصة ولا في المصلحة العامة ككل، و إذا تخلصت البلدان العربية من الاستعمار وأعلنت غالبيتها استقلالها منذ العام 1945م، فاستعمار الشاشات وعروض السينما لا يزال يفتك بعقول أبناء الأمة، والاستقلال عنها (السينما) هو ليس بعيد المنال؛ بل بحاجة إلى المزيد من الجهود ولا شيء مستحيل (سادول، 1968، صفحة 521).

الجدير بالذكر أنه منذ عام 1896م وحتى يومنا هذا، اتفق المخرجون من الأمريكيين والغرب على وصم كل العرب ووصفهم بصفات شنيعة، أصبحت فيما بعد ملتصقة بهم، كوصفهم بالهمجية، والعداء، والتعصب الديني، لا قلوب لهم ولا رحمة عندهم، فهم دائماً يمثلون الآخر الذي لا يشغله إلا إلحاق الأذى

بالغربيين المتحضرين وإرهابهم وخاصة المسيحيين واليهود، وبالرغم من حدوث تغيرات عالمية كالحربين العالميتين، وحرب فيتنام، وحروب الخليج، وانهيار الاتحاد السوفيتي، وغيرها من التحولات إلا أن العرب طوال هذه الأحداث وما تلاها ما زالوا ضحية الشاشة الغربية، يرسمونهم بالشكل الذي يريدون له أن يصل مُضافاً إليه شذرات من الكره مع الكثير من التحيزات ضدهم تلاحقهم كظلمهم بلا توقف (شاهين، 2013، صفحة 13).

فالسنيما الأمريكية أضحت شاشة مشكوكاً في أكثرها وتحاول زرع أيولوجيات معينة دون غيرها في ذهن المُشاهد العربي المسلم خاصة (المُتلقي) من خلال تزويق الخطيئة وتزيين الفجور وقلب المجتمعات رأساً على عقب، بجعل الأخلاق والقيم وجهة نظر، وارتكاب المعاصي انفتاح، والهروب من المبادئ تحرر، فهي تستقطب كل الأعمار والفئات وتجعلهم طريفة في برائن التحيزات اللا شعورية.

إن التفوق الأمريكي الغربي واستعلاءهم على شعوب العالم جعلهم يعتقدون أن فلسفتهم هي الفلسفة، وأن تفكيرهم هو التفكير وتستند هذه الرؤية على مقاطع من فيلم (شون ليفي - ليلة المتحف 2006) حيث يرى المرء الحيوانات فقط، والشعوب غير البيضاء وثقافتهم الموجودة داخل الأقفاص الزجاجية، أما الأشخاص البيض فموجودون في الأفق ثقافتهم تعلن عنهم، فهم يقومون بالتنزه والمشي عبر الممرات، يستمتعون بمشاهدة سكان الكهوف والأسكيمو، وثقافات العالم المختلفة وأديانها، والسكان الأصليين لأمريكا (دباشي، 2016). فهذا المشهد مثال بسيط يبين نظرتهم للعالم أجمع، فكيف إذا تقلصت نظرة الاستعلاء واقتصرت على العرب والمسلمين! فكيف ستعرضهم الشاشة الغرب أمريكية؟.

وسبب خطورة هذه السينما يكمن في أنها تخلق تحيزات وتعصبات وتشعل نار الحقد والكراهية بين العرب والمسلمين من جهة والغرب وأمريكا من جهة أخرى، فالأفلام الأمريكية تحاول إنتاج صورة غير لائقة للعربي المسلم، وبالفعل إنه لأمرٌ غريب أن نرى الغرب يؤلفون القصص والأكاذيب عن

العرب والمسلمين، وهم مَنْ يروج لأفلامهم ويتابعها، مع أنها تسيء إليهم بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال تحيزات مخفية، لا تفسير لها إلاّ تبعية العربي ونجاح حملة الغرب المسعورة.

ولا مناص من القول إن السينما الأمريكية حاولت أن تقدم بديلاً للواقع الذي تتزايد مرارته واضطراباته يوماً بعد يوم، وكان البديل هو الهروب والفرار من هذا الواقع الأليم، وتمثل هذا الهروب باتجاهين اثنين: الأول ترويج فكرة الحياة المثالية، وتوهيم الإنسان بقدرته على التحكم بقدره ومستقبله، مع إمكانيته إدارة حياته وتسييرها بالشكل الذي يناسبه، وهذا ما ينادي به مدعو النهضة الأوروبية، ومن هنا جاءت فكرة ظهور المخلص المقدم المتمثل بالرجل الأبيض الغربي، فمثلاً: يظهر راعي البقر جون واين وهو يفتك بالأعداء البربريين من الهنود الحمر كما جاء بالفيلم، ومع أن الحقيقة عكس ذلك كلياً كذلك يأتي جيمس بوند كعميل المخابرات الغربية؛ ليخلص العالم من شرور الإرهابيين الذين يريدون تغيير سياسة العالم ووجهتها السعيدة! وفعلياً هذه وقائع الفيلم وليست الوقائع الحقيقية، أيضاً شخصية رامبو التي كانت تمثل القوة والشجاعة في إبادة الشيوعيين من الفيتناميين والسوفييت وقدرته على تحرير الأسرى الأمريكيين من قبضتهم، وهؤلاء جاءوا أساساً ليجرروا العالم من ظلم الشيوعيين واستبدادهم، وهذا بالطبع ما تم إيصاله للمشاهد، أما الاتجاه الثاني فتلخص بالهروب إلى عالم جديد كلياً من خلال طرح فكرة وجود عوالم أخرى ومخلوقات غريبة وكواكب صالحة للعيش غير كوكب الأرض الذي يسيطر عليه البشر، فهناك بإمكانهم بدء حياة جديدة بعيداً عن أخطاء الماضي وتعثراته، والعجيب أنهم وحدهم (الغرب) من يحق لهم الانتقال والحصول على فرص جديدة دون غيرهم من الأمم (المحمود، 2011، الصفحات 72-73).

وغطرسة التفكير الغربي تبدو جليّة، وكأنهم يعيشون وحدهم على هذا الكوكب بالرغم من استحالة الهروب التي تم ذكرها إلاّ أن مجرد التفكير بهذه الطريقة والخوض فيها، يمحي أي وجود إنساني على هذا الكوكب إلاّ الغربي الأبيض وهنا نعود لنقطة مفادها أن الفكر الغربي محكوم بالداروينية في مسألة البقاء، والخلود سيكون للأقوى الذي يمثل الرجل الأبيض وهو من يحق له الاستخلاف والحياة

السرمدية، لذا لا نتوقع أن الهروب يشمل العرب والمسلمين وذريتهم كونهم يتصفون بالضعف والعجز في نظر الغرب (المحمود، 2011، صفحة 73).

وبالطبع صورت السينما الأمريكية العرب والمسلمين بصورة نمطية معينة واستطاعت إقناع المشاهد وكسب ثقته، ويظهر هذا في أعداد الأفلام الهائلة التي عُرضت في هوليوود التي تؤكد على التحيز الشديد والظالم ضد العرب والمسلمين، فسورّتهم برابرة، متوحشين، مغتصبين حقراء، متعصبين دينياً، يستغلون النساء، أغنياء البترول الأغبياء، لا يفكرون ولا يتعلمون، أوباش وبلا حضارة وقيم، وتتساءل الباحثة لو وقفنا وتأمّلنا صور العرب في هوليوود منتجة الأفلام والمسلسلات، فماذا سنرى؟ سنرى شخصاً بلحى سوداء غير مهذبة، أغطية وعمامات على الرأس، نظارات سوداء، وفي الخلفية سترى صحراء وفيها جمال، وسترى سيارات الليموزين الفارهة، يعيشون في خيام، أو في بيوتٍ معتقة تحيطها القذارة، الحريم بالأغطية السوداء، آبار البترول والنفط، نظرات الشر تتطاير هنا وهناك، ولسانه يردد (الله) (شاهين، 2013، صفحة 13).

ولو سمعنا في هذه الأفلام الألفاظ التي ينعنون بها العرب والمسلمين، لسمعنا ألفاظاً منها: أوغادّ، راكبو الجمال والحمير، وخنازير، وأولاد كلب، وعبدة الشيطان، ومغفلون، وإرهابيون، وأولاد الناقاة، ومتخلفون، وقساة، ومجرمون، وصفائحُ قمامة، وكثو الرؤوس، وجاهلون، ومغتصبو النساء، وعاهرون، وألفاظٌ بذينة أخرى (شاهين، 2013، صفحة 30).

ومما لا ريب فيه أن ما يجري من تشويه لصورة الإسلام بشكل خاص تابع للحملة المسعورة التي يشنها العالم الغربي والأمريكي على العالم العربي والإسلامي، وصنّاع الأفلام ماضون في تحقيق ذلك من خلال الربط بين العقيدة الإسلامية والحرب المقدسة وعمليات الإرهاب والتفجير التي تقدم العرب والمسلمين مصدراً للخطر والشر يجب تجنبهم وعدم الاختلاط بهم، فتستحضرهم السينما الأمريكية من خلال تجارتهم بالأسلحة النووية وقتل المدنيين، وتأتي بصور المآذن ثم تقطع الكاميرا لتعرضهم وهم

ساجدون، ثم مباشرة وهم يصوّبون بنادقهم نحو الأطفال والمدنيين وغيرها من المقاطع الشبيهة، والأكيد أن هذه السيناريوهات أصبحت معتادة عن العرب والمسلمين (شاهين، 2013، صفحة 26).

وتأسيساً على ذلك أضحت صور العرب على الشاشة نمطية وتزداد نمطية يوماً بعد يوم، وعند النظر إليهم بعدسة الهوليوود المضللة تجدهم مختلفين عما تعرفهم، تجدهم يندرون بالخطر والسوء، ومع استمرارية عرضهم عبر طوابير الأجناس الدينية والعرقية أصبحت هذه الصورة جزءاً أساسياً في السينما الأمريكية متأصلة بعمق في اللاوعي عند المشاهد (شاهين، 2013، صفحة 12).

لا سيما أن التحيز في السينما من الأمور الخطيرة وشديدة الفتك بالمجتمعات والعقول، والمنطق أن تقوم السينما بتصوير الأحداث والوقائع بناءً على الحقائق والدلائل فبدل ذلك تقوم بعملية تدنيس للحقائق وتميقها وتصنع منها دراما وإثارة؛ لتشد المشاهد وتلفت نظره. وصدقاً مفعول هذه التحيزات فكرياً وثقافياً يوازي احتلالاً عسكرياً لأكثر من نصف قرن، فأنت تشاهد هذه الأفلام مخيراً لا مكرهاً، تشاهدها باستمتاع وحب، تشاهدها وأنت مندمج في أحداثها تأكل الفوشار وتشرب الشاي الساخن أو المشروبات الغازية وأنت متمددٌ على أريكتك في قمة لذتك.

إن السينما تطرح مفاهيم تجعلنا أسرى لها، أبرزها مفهوم الإرهاب، الذي تعرّفه المخابرات الأمريكية بأنه التهديد باستعمال العنف، أو استعماله لتحقيق أهداف سياسية من قبل أفراد أو جماعات، سواء أكانوا يعملون لصالح سلطة حكومية أم ضدها وهذا المفهوم ترك مطاطياً يمكن إطلاقه على كل من يخالف نظام الولايات المتحدة النظام العالمي المزعوم، والمصيبة أن هذا المفهوم ينحصر في العرب والمسلمين، وكل من يقاوم الاستعمار ويهاجم الكيان الصهيوني ويدافع عن وطنه وحقه يطلقون عليه "إرهابي" في خطاباتهم الإعلامية التي تبثها القنوات عبر القمر الصناعي، فهذا يؤثر على الرأي العام كافة ويتداوله العالم فيما بينهم، متغافلين عن الإرهاب الذي تمارسه الدول الكبرى على الدول الضعيفة، والحقبة هذا هو الإرهاب بعينه، استغلال ضعف الضعيف وتدميره (حديدي، 2015، صفحة 51).

وهذا ما تطرق إليه إدوارد سعيد أنه منذ انهيار الاتحاد السوفيتي هرول بعض الباحثين والصحفيين في الولايات المتحدة الأمريكية إلى اتخاذ الإسلام والشرق صورتين منبثقتين عن بعضهما بعضًا وأطلقوا عليه (الشرق) إمبراطورية الشر الجديدة، وعززت أجهزة الإعلام هذه الفكرة وروجت لها، حيث إنها قللت من شأن المسلمين وجعلت العنف لصيقًا بهم وأخيرًا نعتتهم بالإرهابيين، وهذا لم يأت من فراغ فالسياق العالمي هيا لمثل هذه الصور وغيرها وهو لا يزال مترنحًا محملاً بأيدلوجيات شديد التوتر والتقلب (سعيد، 2006، صفحة 525).

والسينما ووسائل الإعلام الموجودة حاليًا مُسيرة من أجنداث غربية عامة وأمريكية صهيونية خاصة؛ "بهدف خلق نمط من الوعي يخدم مصالح اللوبي الصهيوني والشرائح الحاكمة في الولايات المتحدة" (علوش، 2013، صفحة 8).

فالتحيز لا يوجد فقط في الأفلام والمسلسلات بل نجده جليًا في الأخبار وتداولها، ففي الحرب على فلسطين وبالذات غزة (2023م) قنوات عالمية معروفة تُذيع الأخبار المزيفة وتردها من وراء الصحافة الصهيونية من دون أدلة أو صور حتى، ومع أن المُصاب الفلسطيني جلل والإبادة التي تُمارس بحقه واضحة وضوح الشمس بوجود أدلة وإثباتات وصور وفيديوهات موثقة من صحفيين وإعلاميين، إلا أن هذه القنوات العالمية تصدق رواية المُحتل وتضع الفلسطيني موضع الإرهابي، والمُحتل الصهيوني (مع أن اسمه سابق لفعله) موضع المدافع عن نفسه!! وتغض النظر عن الطرف الآخر؛ ليظل العالم متضامنًا معهم مؤيدًا لهم، وهذا ما نسميه تحيزًا مقصودًا لتحقيق مكاسب سياسية وتضامن عالمي.

وتذكر الباحثة بعضًا من الأفلام التي تحمل تحيزات ضد العرب، مثل:

- فيلم "علاء الدين" (1992م) يتحدث عن علاء الدين الذي يقع في حب الأميرة ياسمين، ويتورط في مؤامرة مع شخصية جعفر الشريرة، وفي هذا الفيلم العديد من التحيزات اللغوية واللفظية.

• فيلم "سيارة باللاسلكي" (1937م) حيث يقدم العرب المهاجرين كالمجرمين العدوانيين الذين يهددون أمن أمريكا.

• فيلم "المملكة" (2007م) تدور أحداثه حول تعرض فريق التحقيق الفدرالي الذي جاء ليحقق في تفجيرات الرياض إلى هجوم إرهابي بقيادة أبي حمزة، ويعرض العديد من التحيزات الظاهرة للعيان.

• فيلم "قناص أمريكي" (2014م) يتحدث عن قناص الأكثر شجاعةً وقتلاً في حرب أمريكا على العراق، وسأخوض عميقاً فيه في الفصل الثاني من هذا البحث.

• فيلم "الحرس القديم" (2020م) يتناول مرتزقة على هيئة أبطال خارقين، يقاتلون في أفغانستان، ويعرض الفيلم بعضاً من التحيزات، سأعرضها مفصلةً أيضاً في الفصل الثاني من هذا البحث.

والتصدي لهذا كله يتطلب أولاً: أن تقوم وزارات الإعلام في الدول العربية بوقف استيراد ما العجر والبجر من أفلام ومسلسلات وبرامج غربية تطيح بأبناء الأمة وتحرف بوصلتهم، ثانياً: على الحكومات العربية ووزارتي الثقافة والإعلام متابعة وسائل الإعلام ومراقبة ما يتم إنتاجه محلياً واستيراده من شركات خاصة أو قنوات محلية، ثالثاً: السينما والأفلام ثقافة إذا لم تقم بإيصال رسالة ذات قيمة فالأولى هجرها وعدم التعامل معها، ولو على أي حساب آخر، رابعاً: تشجيع الحكومات والوزارات لشركات الإنتاج التي تُنتج كل ما هو لصالح الأمة والأفراد، دون الحاجة لمشاهد خادشة للحياء أو مشاهد عنف، مشاهد تحمل العبرة والثقافة وتحدث عن أبطال تاريخيين أو إسلاميين أو علماء وقادة، فتاريخنا وحضارتنا تحفل بنماذج يُقتدى بها ويُحذا حذوها، خامساً: اتخاذ موقف صارم ومقاطعة تامة لكل عمل سينمائي يسيء لعروبتنا ويشوه من صورتنا، ومحاسبته وملاحقته في المحاكم الدولية.

ومن المؤكد أن دور المدارس والجامعات مهم أيضاً يتلخص بتفتيح أذهان الطلاب وتوعيتهم حول التحيزات التي تحيط بهم والحذر منها، كونها نوعاً من أنواع الاستعمار، كذلك ترشح لهم بعضاً من البرامج والمسلسلات ذات قيمة وتناسب أعمارهم وعقولهم، فمشاشة التلفاز والإنترنت أيضاً عالم مفتوح

وعلىنا الحذر منه، والتسلح بسلاح الوعي والإدراك، توجيه الطلبة نحو استغلال الوقت وتنظيمه في القراءة والمطالعة وحفظ القرآن لما لها من آثار إيجابية وليس فقط الجلوس خلف شاشات التلفاز.

ولا يُنسى دور الأهل الأساسي فهو مصنع الأجيال الأول، وعلى الوالدين متابعة الأبناء على شاشات التلفزة ووسائل التواصل كافة خاصة في ظل التطور التكنولوجي السريع الذي نعيشه، توعية الأبناء بطريقة محببة عن إيجابيات وسلبيات هذه الأجهزة التي تقتحم منازلنا، تربية الأبناء منذ الصغر على تمضية الوقت بالقراءة والكتابة والنشاطات، والنقطة المهمة على الوالدين أن يكونوا قدوة لأبنائهم؛ لأن الأبناء يقلدون الآباء والأمهات دائماً.

المجال الثقافي

بدايةً الثقافة لغة: "تَقَفَ الشيءَ تَقْفًا وتَقَافًا وتَقوفه: حَدَقَهُ، وَ تَقَّفَ وَتَقَّفُ: حَازَقُ فَمِهِم، وَأَتْبَعُوهُ فَقَالُوا: رَجُلٌ تَقْفٌ لَقْفٌ...."، ويقال تَقَفَ الشيء وهو سرعة التعلم" (ابن منظور، 2003، مادة تقف).

أما تعريف الثقافة اصطلاحاً، ففي أول الأمر كانت كلمة الثقافة عملية مادية كاملة تمت إضافتها مجازياً على شؤون الروح، وزراعة الأرض وحرثها، إلى الاعتناء بالحيوانات والاهتمام بها، ثم تطور المصطلح ليرتبط بالدين والعبادة والألوهية، ومن هنا اكتسبت الثقافة الغطاء المتين للسلطة الدينية، والجدير بالذكر أيضاً ارتباط المصطلح بالاحتلال والغزو (يجلتون، 2006، صفحة 14).

إذن فهناك علاقة وطيدة بين معاني الثقافة فقد جمعت بين القداسة في جملة (شؤون الروح) والتنمية والإزدهار في جملة (زراعة الأرض، والاعتناء بالحيوانات)، كذلك الاستقامة الدينية، والاستيطان والفساد، الذي يعد مخالفاً لكفة الميزان الأولى، وهذا نذيرٌ بالشؤم، فهو يلمح لفكرة أن كل ما هو إنتاج غربي ولو كان بسيطاً يشكل غزواً خفياً للعالم المستهدف الآخر.

على أية حال فتعريف الثقافة هو "مجموعة الأفكار، والقيم، والمعتقدات، والتقاليد، والعادات، والأخلاق، والنظم، والمهارات، وطرق التفكير، وأسلوب الحياة، والعرف، والفن، والنحت، والتصوير، والرقص الشعبي، والأدب، والرواية، والأساطير، والفلسفة، والتاريخ، ووسائل الاتصال والانتقال، وكل ما صنعت يد الإنسان وأنتجه عقله من نتاج مادي وفكري، أو توارثه من الأجيال السابقة، أو أضافه إلى تراثه نتيجة عيشه في مجتمع معين" (أبو شعيرة وآخرون، 2015، صفحة 18).

وفي موضع آخر "مفهوم الثقافة أصبح اليوم بمثابة قاسم مشترك يؤلف بين عناصر عديدة يصعب التكهن بها مسبقاً بوجود علاقة ما تجمعها، لكثرة ما هي بادية للعيان الاختلافات بينها: تصورات عن الحياة والكون والإنسان، سلوكيات بشرية، موضوعات مادية، مهارات، وتقنيات، طقوس ورموز دينية،...إنه يحيل إلى كل ما يمت إلى البشر وعالمهم بصلة، مرثياً كان أم غير مرثي، شعورياً كان أم لا شعوري، مستمراً كان أم عابراً، محلياً كان أم عالمياً، قديماً كان أم حديثاً" (الداوي، 2013، صفحة 13).

تؤيد الباحثة التعريفات التي سبق ذكرها، وتضيف أن الثقافة هي مرآة الهوية والحضارة والبصمة، فلكل فردٍ مناسمة خاصة يتميز بها عن غيره، ولكل مجتمع سمات تميزه عن غيره، ولكل دولة طابع خاص تنفرد به وحدها، وهكذا.. فهذه السمات والطوابع تتجم عن القيم، والأخلاق، والعادات، واللغة، والدين، وخبرات الأجداد، ومستوى التعايش، والانسجام الفكري وتقبل الآخر، وعقلانية الفرد وحكمته في إدارة حياته، وبهذا تتشكل لدينا ثقافة تخص مجتمع بعينه دون آخر.

ولا سيما أن الثقافة العربية تختلف عن الغربية، تختلف عن الهندية، والصينية، وغيرها، فكل ثقافة أسلوبها الخاص فيها، وبيئتها التي تساعدها، وأفرادها الذين يتجاوبون معها ويخوضون فيها، ومن الصعب في مكان أن يتبنى أبناء الأمة العربية ثقافة غير ثقافتهم، وأيضاً هناك صعوبة كبيرة على الغربي في تبنيه لثقافة غير ثقافته التي اعتاد عليها، فإذا أردت بناء مجتمع وتطويره عليك بتتقيف أبنائه

وزيادة مرونتهم في اكتساب كل ما هو جديد والتعديل عليه إذا لم يلائمهم ذلك؛ لتعزيز ثقافات معينة أو تبديلها أو حتى محوها نهائيًا، وإذا أردت زعزعة مجتمع ما فعليك بالتلاعب بثقافة الفرد وما تربي عليه، عليك بعادات المجتمع وأصالته، قلل من شأن علمائه ومن العلوم التي يحملونها، بدل مكانتهم من قادة إلى تابعين يلهثون وراء المادة ومغريات الحياة، هذا نهج الغرب الأمريكي في التعامل مع العالم العربي الإسلامي، قد عرف اللعبة وأتقنها وفطن أن الثقافة التي تشكل العادات، والتقاليد، والقيم، والأخلاق، والمبادئ، والدين، متى أُصيبت واحدة منها بفجوة فسيؤثر ذلك على العوامل الأخرى؛ وبالتالي يحدث الصدع والشرخ في الأمم والمجتمعات.

يتجلى التحيز الثقافي بوضوح في نشاط الإنسان العربي وتصرفاته في حياته الخاصة والعامة على حد سواء ومن أبسط تصرفاته إلى أعقدها، فسلوكه في اللقاءات وطريقة حديثه وإيماءاته وحركاته توحى بهذا التحيز اللاشعوري الذي يتبناه الفرد العربي، كذلك نظرة الفرد العربي للموروث، والتاريخ، وقيمة الوقت، والانضباط، وغيرها، قد تغيرت تمامًا، ولم يعد الإنسان العربي ينظر إليها كأساسيات ومبادئ، أفلتها من يده كالطفل الصغير الذي يفلت يد أمه وسط الزحام وأصبح تائهاً دونها.

ولا ضير من التبادل الثقافي و الاستفادة من ثقافات الآخر وتبني بعضها منها، ولكن بحذر تام قيل أن "يصبح واقعنا تفاصيل متناثرة إمّا غير مفهومة وإمّا تفاصيل تفرض عليها تصوراتنا القاصرة إن لم نفهم النموذج الحاكم والتحيزات الكامنة فيه" (المسيري، 2009، صفحة 369).

ومما لا ريب فيه أن الاستشراق مذهبٌ و أسلوبٌ غربيٌ وفكرة جديدة للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه، فرسم الغرب صورة الشرق بصورة المنافس له في الثقافة والحضارة واللغة فجعله يشكل صورة الآخر الذي على الغرب الحذر منه من خلال تدعيم قوته ودعم هويته بحيث زادت الثقافة الأوروبية وزاد الإقبال عليها عندما جعلت الشرق الذات البديلة أو الدفينة مقابلًا للذات الغربية المضادة للشرقية (سعيد، 2006، الصفحات 44-54).

والجدير بالذكر أن العالم العربي الإسلامي وقع ضحية هذا التحيز الثقافي، أو لنقل ضحية تبني ثقافات الغير دون إدراك أو تمييز، ولا أدلّ على ذلك من الغزو الثقافي الذي ما فتئ يطارد الدين الإسلامي ويتربص له في كل صغيرة وكبيرة، فأصبح الأخير مغلوباً على أمره في ميادين الحياة المختلفة من تربية، وتنشئة، وتعليم، وتشريع؛ ونتيجة لذلك نجح الغزو الثقافي في تكوين طواير من الأجيال تنتظر إلى ماضيها كلّ على أنه أطلال و مخلفات ينبغي أن تُدثر ليحل محلها عالم جديد وضع الغرب حجر أساسه وبنى عليه، وقد نجح بالفعل في بلوغ غايته وتحقيق مآربه، عندما أسقط دولة الخلافة وأقام سبعين جنسية على أنقاضها، فأخذت الناس تبتعد شيئاً فشيئاً عن رباط العقيدة وشملها، فمُسخت هموم الناس وأزماتهم لتتجلى بتوفير لقمة العيش ورغيف الخبز، أو شهوة الجنس وغيرها من الرغبات والملذات. واللافت في الأمر وجود موظفين مكّرة من السياسيين والإعلاميين والأدباء (كالأجندة) مهمتهم حراسة هذا التمزق واستمراريته وضمان استدامته (الغزالي، 1985، الصفحات 32-58).

وأنا لو تقصينا أثر الفرد العربي في تصرفاته في الشارع، ومدى تقبّله للعلم والعلماء، ونمط لباسه، وأسلوب حياته من طعام وطرق إعداده وأنواعه وكيفية تناوله، ونومه وخروجه واختياره للأصدقاء، وتعامله مع الحياة وأسبابها ونمط تفكيره وعقليته، ونظراته وتحليله للأمور، حتى البناء والأبنية وتصاميمها من متاع وأثاث ودهان، وكل هذه التفاصيل وغيرها من التفاصيل الاجتماعية كتقليل الزيارات والبُعد عن الأقارب، وتقليص الشبكة الاجتماعية، والعديد من الأمور، كلها تقع ضمن ترجمة لقوالب اجتماعية وثقافية كامنة في اللاوعي والعقل الباطني للإنسان العربي تأثر فيها وظل محتفظاً بها.

والعجيب أن الغرب عامة وأمريكا خاصة يعد التغيير الناجم عن العلم والاختراعات غاية في ذاته وليس وسيلة للتقدم والسعادة كما يُذاع فمثلاً: قتل الأجنّة، واستئجار الأرحام، وسرقة الأعضاء، وعمليات الاستسناخ اللا أخلاقية، وإنتاج الأسلحة الذرية والنوية والعبارة للقارات، كل هذه الممارسات وما يشبهها تلحق الضرر والتلوث بالمجتمعات الإنسانية وتدعم القتل والإبادة وتبررها، ولا شك أن أهمية الاكتشافات العلمية وبراعتها التي توصلت إليها أمريكا والغرب فعلاً غيرت العالم ويسرت

الصعوبات ولكن هذه الدول تناسلت في نفس الوقت أن مخترعاتها أصبحت سلاحًا ذا حدين على العالم العربي الإسلامي والعالم الثالث وتمنى الواحد منها أنه لو ظلّ العالم بعيدًا كل البعد عن التطور العلمي والتكنولوجي الذي ألحق به الضرر أضعافًا مضاعفة مما أفاده.

ولسوء الحظ هذه الثقافة الدارجة في أيامنا ثقافة السرعة والتغيير والتحول، يتبعها الحفاظ على الهيمنة الثقافية وتقبلها والأخذ بها كما هي دونما تغيير، مع الضغط الاقتصادي الأمريكي العنيف مضافاً له النزعة الاستهلاكية للشرق وارتباط السوق العربي والإسلامي بنظام السوق الغربي، والجدير ذكره هناك عشرات المنظمات قد تخصصت في الولايات المتحدة في دراسة الشرق العربي والإسلامي ثقافته وملامحه وكل ما يخصّه في المقابل لم تخصص منظمة واحدة في الشرق نفسه في دراسة الولايات المتحدة التي تتمتع بأعظم نفوذ اقتصادي وسياسي في العالم (سعيد، 2006، صفحة 491).

إنّ الحقيقة المرة التي على الأمة العربية الإسلامية إدراكها (الأمة كانت قديماً، والباحثة ترى علاقة هذه الأمة ببعضها لا تخفى على العيان، فلا لهم واحد ولا الفرح مشترك.) أنها أمة محكومة بمفاهيم ثقافية ذات خصائص ساكنة تُقيّد من حرية العمل والتفكير، وفي الجهة الأخرى العالم الذي لا يعترف بالثبات سريع الخطأ تتحول فيه التصورات والمفاهيم تحولاً سريعاً، فالعالم العربي الإسلامي بين مُرّين مُرّ ثبات القيم والمفاهيم الثقافية العربية ومُرّ عجلة العالم المعاصر التي لا تتوقف، ويبقى الواحد منهم محتاراً مذهولاً لا يقدر على مواكبة ثقافة العصر كما الغرب ولا المحافظة على ثقافته وحضارته وهويته، فتجده يستذكر معركة حطين وبطولات عين جالوت تائهاً في سراديب الماضي وعراقته لا يتحدث إلّا عن الماضي وإذا فتح قضية للنقاش مع غيره تجدهم ينقسمون إلى جماعات وأحزاب متناحرة لأجل قضية لا تستحق عفا عنها الزمن أو لا وجود لها من الأساس، والعالم من حولهم يبني يخطط للمستقبل يستثمر القدرات، وهم ما زالوا يشجبون ويستكرون ويدينون أمريكيًا والصهيونية هنا وهناك دون أن تكون هناك جدية في مواجهة هذه الغطرسة! (الحمد، 1993، صفحة 27).

العالم العربي الإسلامي (كأفراد وجماعات وحكومات وأصحاب قرار) غير آبه لتثقافته أو للمرحلة التالية، وهذا من أمقت ما مرّ بثقافتنا العربية الإسلامية هو التخلي عنها، ونكرانها، أيضاً الجهل بقيمتها ومقاصدها، ولكن الذي يتبادر في ذهن البعض كيف استطاعت الثقافة الأمريكية مد أسطولها الثقافي في أعشاش أدمغتنا وأصبحت لصيقة بمجتمعاتنا و انتقلت وتنتقلت بين العرب والمسلمين، وتأثروا بالنموذج الأمريكي لدرجة أنهم تأمركوا أكثر من الأمريكيين أنفسهم.

مما لا ريب فيه أن الولايات المتحدة الأقوى في استعمال أسلوب غزو العقل والثقافة بدلاً من غزو الأرض والحرب، وما أهلها لذلك أنها أكثر دولة في العالم تتحدث عن الحريات وأهميتها، والأقليات واحترامها، والاهتمام بالمتعلمين والمتقنين، هي أرض الفرص وتحقيق الأحلام، ويخدم هذا الميدان عددًا هائلًا من الوكالات والإدارات والأجهزة الأمريكية التي تنبذل قسارى جهدها لتظل الدولة الأمريكية محافظةً على شكلها وأدائها حتى تتمكن من نشر النمط الأمريكي داخل كل إنسان (التفكير)، وخارجه (التصرفات والسلوك) في كل منطقة في العالم حتى في أوروبا نفسها (محمد سيد، 1994، صفحة 18).

فالقوة الناعمة التي تفرضها الدولة الأمريكية هي قوة الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة، والسعادة المحققة، واللافت أن هذا الانجذاب لا يمكن الإمساك به فهو غير ملموس يقنع الطرف الآخر بمسايرة النمط الأمريكي دون حدوث أي تماس واضح أو تهديد مباشر (ناي، 2007، الصفحات 26-27).

وسياسة الولايات المتحدة بُنيت على فرض ثقافتها من خلال القوة الناعمة؛ أي تجعل الطرف الآخر مغرمًا بأسلوبها وطريقة عيشها، تأسر من يزورها وتجعله لا يرغب في الرجوع إلى وطنه، لأنه وجد ضالته وأرض الأحلام، وإن لم يزورها فعند جلوسه في بيته (داخل محيط وطنه) يشاهد أفلام الهوليوود التي تزيّن الثقافة الأمريكية بأبهى حلّة، تغسل دماغه وتضع غشاوة على عينيه، ليتحول هذا الإعجاب إلى تطبيق على أرض الواقع، وقد يكون تفكير الإنسان العربي أنه لو انغمس في الثقافة الأمريكية ثقافة العصر وتبناها بإمكانه الشعور بلذة القوة ونسيان واقعه الأليم الذي يزخر بالضعف والهوان والتحديات،

فيرمج عقله أنه لا ينتمي للثقافة العربية أو الإسلامية، فكل حياته تأثرت بالثقافة الأمريكية من أصغرها إلى أكبرها من سطحها إلى عمقها، فيصبح هذا الإنسان أمريكيًا أكثر من أي شخص آخر يعيش في مدينة نيويورك أو لوس أنجلوس أو غيرها من المدن الأمريكية، وفعلاً الكثير من القوة الناعمة أنتجتها هوليوود وهارفارد، وبرمجيات المايكروسوفت، ومايكل جوردان، والشركات الكبرى، والجامعات والمدارس المشهورة التابعة لها، فتطور هذه القوة كان سبباً لتعزيز أعمالها وسياساتها في جميع العالم.

ولا ننكر أن تيارات الثقافة المعاصرة في الشرق الأدنى تستلهم من النماذج الأمريكية وتسترشد بها، فمثلاً: لا يستطيع أي باحث عربي أو إسلامي أن يتجاهل ما يُنشر في الدوريات العلمية ولا في الجامعات الأمريكية أو المعاهد الغربية، والعكس للأسف ليس صحيحاً، لا توجد مؤسسة تعليمية عربية قادرة على تحدي جامعات مثل أوكسفورد أو شيكاغو، وغيرها (سعيد، 2006، صفحة 490).

وبالرغم من قوة تأثير الهوليوود والأفلام على ثقافة العالم العربي الإسلامي، إلا أنها لم تكن المنفردة في نشر الثقافة الأمريكية، فالتنويريون العلمانيون من العرب والمسلمين دعو إلى تبني النمط الغربي في الحداثة والإحياء، وربط التقدم والحضارة بالغرب، وبهذا أنكر هؤلاء التعددية في الحضارات الإنسانية، وقللوا من شأن الخصوصية، وعضوا من شأن الهويات الثقافية، داعين العرب والمسلمين إلى اللحاق بالغرب بنفس الأدوات والآليات لتحقيق أهداف نفس أهدافهم ومقاصد ذات مقاصدهم، فلا وجود للثقافة العربية ولا تاريخ للثقافة الإسلامية! (عمارة ، 2002، صفحة 35).

في زاويةٍ أخرى استدعى دعاة¹ التبعية والإلحاق الحضاري اقتراحات ترمي إلى إحلال الثقافة الأوروبية محل الثقافة الأصلية كنفويض وهمي؛ ليبينوا أن الصحيح هو الاندماج في الحضارة الغربية، وبتحية الثقافة العربية هو الحل الأمثل. كل هذا لإخفاء قضية مهمة جداً وهي مدى تمييز العرب

¹ كان هؤلاء رواد ثقافة التنوير العلماني انبهروا بالحضارة الغربية وغرسوا مقولاته في عقول الأمة، أمثال: الشيخ علي عبد الرازق، طه حسين، سلامة موسى. (عمارة ، 2002، صفحة 36)

والمسلمين حضارياً وضرورة استقلالهم الثقافي الذي يُعترف به للهنود واليابانيين والغرب والصينيين وغيرهم (عمارة ، 2002، صفحة 113).

وتنتقل الثقافة أيضاً من خلال التجارة، والزيارات، والتبادلات الشخصية، فيزور أميركيا في السنة الواحدة أكثر من نصف مليون طالب أجنبي يحضرون من بقع متفرقة من العالم؛ ليدرسوا في جامعاتها وتتصدر القيم والأفكار الأمريكية تباعاً لعقولهم وأدمغتهم، ومن ثم إذا رجع هؤلاء الطلبة إلى بلدانهم تجدهم معبئين بالثقافة الأمريكية مرتوين منها حد الانتشاء، وأكبر مثال على هذا عندما كانت الولايات المتحدة تحاول إقناع الرئيس الباكستاني (مُشرف) بتغيير سياسته وتطلعاته؛ ليقدم دعماً وتأييداً للممارسات الأمريكية في أفغانستان، ومن المؤكد ما ساعدها على ذلك أن ابن مشرف نفسه كان يعمل في منطقة بوسطن، في الولايات المتحدة (ناي، 2007، صفحة 35).

تلاحظ الباحثة وتوه لنقطة مهمة أننا لو بحثنا في سيرة حكام العرب والمسلمين في القرن الحديث، لوجدنا أنهم تلقوا العلم في جامعات أمريكية أو غربية، وإن لم يكونوا هم فجلّ أبنائهم، وقد يكون خلف هذا أحجية منسوجة بنسيج الثقافة الأمريكية، تُزرع في الأبناء وعقولهم خصبة، وإلى أن يحين موعد تسلمهم لأي منصب تكون عقولهم قد تشبعت وفكرهم قد نما كما يُراد له أن ينمو.

في خضم هذا لا بد من استيعاب المصطلحات التي تتدرج على ألسنة العالم أجمع بوعي أو من دون وعي، والتي نجمت عن الثقافة الأمريكية أو الغربية، فمثلاً: مصطلح العولمة مصطلح دارج وحقيقة معناه أن العالم يشبه إلى حد كبير السوق الضخم والإنسان وكل المخلوقات فيه كائنات أحادية البعد، يمكن التكهّن بسلوكها ونشاطها، فالعالم مادة استعمالية مادية (المسيري، 1999، صفحة 27).

أيضاً مصطلح الإمبريالية المنتشر بصورة كبيرة: فالإمبريالية فكر وثقافة تنزع القداسة عن العالم؛ لأنه وُجد بالصدفة ولا وجود للاله أو الخالق فيه، وتفصل العالم عن كل القيم والأخلاق والمبادئ وحتى عن ألسنة الإنسان، وتحاول الإمبريالية السيطرة على الطبيعة والإنسان لصالح الأقوى، وتحويله إلى مادة

استعمالية لصالح الإنسان الغربي وحده؛ كونه الأرقى والأقوى والأفضل (المسيري، 1999، صفحة 33).

فمثل هذه المفاهيم التي تتبناها الثقافة الغربية وتتبناها ثقافتنا العربية الإسلامية في وقتنا المعاصر، هي أقرب للإلحاد؛ أي لا تتلاءم مع تعاليم ديننا، فكيف لهذه الثقافة أن تختزل الدين الإسلامي المنهج الصالح لكل زمانٍ ومكانٍ إلى بضع شعائر كالصلاة، والصيام، والحج، وقراءة القرآن، والأدهى من ذلك محاولتها فصل هذا الدين عن واقع الحياة ومعتزكاتها.

ومصطلحات أخرى أمثال العلمانية الشاملة التي تفصل الدين والقيم الدينية والأخلاقية عن كل جوانب الحياة العامة، ومصطلح العلمانية الجزئية الذي طرحه الدكتور عبد الوهاب المسيري (وقارن بينه وبين الشاملة) ينص على فصل الدين عن الدولة والحكم والسياسة، وترك حيزًا واسعاً للقيم والأخلاق والدين ما دامت لا تتدخل في عالم السياسة، بمعنى آخر استقلال الدين عن الحكم (المسيري، 1999، صفحة 32).

وترى الباحثة أن العلمانية الجزئية كتقافة حكم أو سياسة، غير ناجعة ومنتاقضة، فكيف سيتم الحكم بعيداً عن الدين، وعلى أي أساسٍ وعلى أي مرجعٍ سيتم استناد الأحكام والتعامل السياسي مع الدول الأخرى في الحرب والسلم وغيرها!، إذا لم يكن الاستناد على الدين الإسلامي وقوانينه وأسسها، فإن سنكون قوانين وضيعة من صنع الإنسان مهما بلغ علمه ووصلت ثقافته، وإذا كانت السياسة التي تمشي عليها الدولة متضعضة تتناسب وأهواء فئة البعض، فلا بد أن تنتسل هذه السياسة إلى حيز القيم والأخلاق وإثارة الفساد فيها وبهذا تخلص الباحثة أن العلمانية الجزئية لا تختلف عن العلمانية الشاملة التي لا تؤمن بأية مطلقات أو ثوابت.

والغريب أن العالم يرفض الثقافة الإسلامية ويتنكر لها، و الدول العربية الإسلامية تتجنبها قدر الإمكان، والمعضلة هي الرفض القاطع لها من أصحابها قبل الغرباء، إنه لشيء عجيب إعراضهم عنها وهم لم يجربوها من الأساس، وإن جربوها جربوها منقوصة!.

فها هي ثقافة الكوكا كولا والهمبورغر، والكنتاكي، وشطائر الماكدونالد، والبيتزا المدورة المغلفة بغلافٍ مربع، والمشروبات الروحية، ومشروبات الطاقة، والمطاعم التي تقدم لك عينة من الطعام لتدفع مقابلها الضعف، تغزو العالم العربي الإسلامي برمته من كبيره إلى صغيره وإنّ تبنيهم لنموذج التبذير والالتهم والأكل السريع أنتجت شعوبًا لا يهتمها إلا بطونها ولو كان على حساب كرامتها، فلا وعي كافٍ يوجههم لدعم وطنيتهم ومنتجاتهم، ولا إدراك لمدى الهيمنة الأمريكية الخفية التي تقع عليهم، هذه الثقافة زرعت في شعوبنا سُعار الاستهلاك والشراء والتبضع بسبب ومن غير سبب، جعلتهم يعيشون دور الضحية التي ترى بهذه الأفعال تنفيسًا وهروبًا من الظلم الذي يحيط بهم من داخل دولتهم ومن خارجها.

إنّ تعمق الثقافة الأمريكية داخل مجتمعاتنا العربية الإسلامية أمرٌ يدعو إلى الذهول من كم هذا التعمق وتجذره، فبات أسلوب الحياة غريبًا بحثًا، من التفكير إلى الحديث وحتى التطبيق، فالزواج كمفهوم علمي وديني أصبح مسؤولية كبيرة لا يستطيع شباب الأمة ولا شاباتنا القيام به وإنجاب الأطفال وبناء عائلات وأسر، فالعلاقات العابرة التي نادت بها ثقافة الغرب تُغني الأمة بأكملها عن عقد الزواج والتكاليف الباهظة، فلماذا الارتباط؟ وبإمكان الواحد منهم إشباع غريزته (حتى مفهوم الحب الذي حوسلوه وتلاعبوا به وجعلوه محورًا أساسيًا لثقافتهم وأفلامهم، ينجم بين رجلٍ وإمرأة وجدوا الحب صدفةً... وهكذا)، في أي مكان ومع من يشاء وهو ما يُعرف بالنظرة المادية للجنس هكذا يراه الغرب كالطعام، والحاجة للتبول، أمر روتيني لا بد من القيام به بلا خطيئة أو عراقيل وذن أي إحساس بالخجل أو الخصوصية، كذلك الأمر بخصوص الشذوذ الجنسي والتحول الجنسي، فالإنسان عندهم مكثف بذاته لا ضوابط تحكمه أو قيم (المسيري، 2009، صفحة 241)، وتلتفت الباحثة أيضًا لثقافة العُري التي يتبناها الكثيرون، فالستر معدوم، والتيقظ لحفظ حرمة الجسد وخصوصيته مفقود، فالنساء تعرض

أجسادها كالسلع الرخيصة منسوبةً بالدواب التي لا يغطي جسمها إلا جلدها وخرقة من القماش، ومع هذا تجدهن يتباهين بمناظرهن ويطلقن عليها إطلالة، وبعدها يتساءل الناس من أعجب بإطلالة الشهيرة فلانه؟! والمستهجن أن هذا العري يُسمى أزياء، أنيقة، رقي، وتصدف من يُعجب بهذه الأزياء ويقلدها، أما لباس الحشمة والستر فهذا لباس التخلف كما يزعمون!، هل الحفاظ على الجسم من الفتن أصبح تخلفاً؟!، كذلك ما يُعرف بالفنانين والمشاهير والمغنيين في الحقيقة لا يستحقون هذه المسميات؛ لأنها كبيرة على أعمالهم النافهة (إلا من رحم ربي منهم)، كل هؤلاء لا يقدمون إلا الهراء، ويتبنون الثقافة الغربية وينشرون سمومها في أعمالهم، فلا فنهم فناً ولا مشاهيرهم ممن يقدمون الإفادة والعظة، وحتى الغناء والموسيقى صار مربوطاً بالمجون ناهيك عن الألفاظ الهابطة التي لا تليق بحضارتنا وتراثنا، والشيء الشائن حقاً إقامة مهرجانات تصرف عليها الملايين لتكريم هؤلاء الذين ساهموا إسهاماً فاعلاً في إسقاط مجتمعاتنا وإنحلالها والأكثر بشاعة أن هؤلاء تسموا بالمؤثرين، لهم معجبون ومقلدون ومحبون من الأعمار كافة. هذا ما يحاول الغرب الأمريكي زرعه في عقول الأجيال ولكن بالتدريج وليس دفعةً واحدة.

في الحقيقة إن الأسرة في مجتمعاتنا أصبحت أكثر ليونةً وتفكيكها أمرٌ سهل، بحاجة لأب طائش غير مسؤول لا يقوم بواجباته يلهو هنا أو هناك، وأم مهملة لا يهتمها إلا مساحيق التجميل ومتابعة آخر صيحات الأزياء تولي العناية بأظافرهما أكثر من أي شيء آخر، وأبناء تربيهن شاشات الأجهزة الذكية التي تورث الغباء لمشاهديها، ينشأون على الحرية المطلقة الخالية من القيم، هكذا تتفكك الأسرة فكل يغني على ليله، لا أحد مسؤول عن أحد، ولا أحد يقف على مسؤولياته، وهذا حال الأسرة الغربية هذا إن وُجدت أصلاً.

وشتان ما بين الثرى والثريا فالأسرة في الثقافة العربية الإسلامية مترابطة متماسكة (قبل هذا المد الأمريكي)، الأب هو رأس الهرم والمعيل الأساسي للعائلة، والأم على عاتقها التربية الصالحة والتنشئة ولا ضير من مشاركة الأب في ذلك، أما الأبناء يقومون بدور الطاعة للوالدين والبرّ بهما، فلا تُكسر

وصاياهما ولا يخرجون عن طوعهما، وإذا تزوج الأبناء يستمر هذا البر بل ويزيد؛ لأن الوالدين بحاجة لرعاية واهتمام أكثر كلما تقدما في السن، إذن هناك ترابط بين أفراد الأسرة الواحدة، وتعاضد بين أبناء العائلة، وتماسك بين أبناء القرية، فكل يشعر بالآخر وكل يعرف مسؤولياته وحدوده.

إنَّ ما نراه في أيامنا هذه لا يبشِّرُ بالخير أبداً، وتؤكد الباحثة أنه كلما تقدم الزمن زادت التحيزات الثقافية في بلادنا، وطبعاً وفودها سيكون بالتقسيم وتقبل الناس لها سيكون بالتدرج أقرب للا شعور، فمثلاً: الطفل اليوم لا يتجاوز الثلاث سنوات يجادل أهله ويجعلهم يرضخون لمطالبه بحجة إسكاته وعدم رغبتهم في سماع صوت بكائه المزعج وتصبح كل الأجهزة الذكية تحت تصرفه ويشاهد ما يشاء، ويأكل ما يريد، ويشرب ما يحب، ودواليك حتى لو كان ذلك على حساب صحته فالمهم أن يلتزم الصمت. فيكبر وتكبر متطلباته معه، ومهمة الوالدين الخضوع فقط دون تربيته أو تقويمه، وعند سن البلوغ تجدهم يحبون الاستقلال بشخصياتهم وحياتهم والابتعاد عن الحضان العائلي والأسري وأول ما يفعلونه الخروج عن المألوف وكسر القواعد فيخرجون لساعات متأخرة في الليل ويرجعون عند ساعات الفجر الأولى، هذا إن لم ينتقل الواحد منهم للعيش وحيداً ويرغم والده على شراء منزل مستقل له، فيدعو من يشاء إلى منزله بلا رادع أو ضوابط، وإن كان طالباً جامعياً يتولى أحد الوالدين أو كلاهما دفع تكاليف تعليمه ومصروفه، والأخير تجده يأخذ هذه الأموال ويبذرهما هنا وهناك، لا يأبه بتعليم أو أي علم فلا احترام ولا تقدير لتضحيات الأهل، ولا اكتراث لعقاب الله على الخداع الذي يمارسه، وهناك الكثير من هذه المواقف الشبيهة التي نسمع عنها ونعيشها في بلادنا، والواحد منا يتعجب أيعقل أن يكون هؤلاء عرباً مسلمين يقلدون الحياة الأمريكية الغربية.

وإنَّ الحياة الغربية التي تجعل أبناء العرب والمسلمين في استماته شديدة عليها، ما هي إلا فخ مريب، ولا شك في أن الأفلام الأمريكية التي يتم عرضها في بلادنا وتبني الأنماط الأمريكية ما هي إلا مخطط لإسقاط الأجيال عامة، ونقض لمفهوم الأسرة خاصة؛ لأن تماسك الأسرة والتربية هو ما يميز ثقافتنا وحضارتنا العربية الإسلامية التي يفتقرها العالم الغربي كله، فعبر الأسرة ومن تحت جناح الوالدين

يخرج أبناءً أسوياءً وجيلاً واعٍ يجابه بثقافته كل المغريات التي تُقدم له، ولا تُخفي الباحثة أن النموذج الأمريكي مغزٍ بعض الشيء للغالبية العظمى ممن لا يفهمون مقاصده، وحقيقة إدراك الفرد للمصيدة التي يقع فيها يكون بعد فوات الأوان. أترى عندما تلبس ثوباً لا يليق بك ويكون فضفاضاً وطويلاً ولكنك تحب ألوانه وقماشه ومثانة خيوطه، لكن ما تلبث أن تمشي به خطوات حتى تتزلق فتلوى قدمك أو يُكسر ظهرك، هذه الثقافة الأمريكي غريبة بأم عينها، فعندما تعجبك ثقافة ما عليك أن تأخذ منها ما يتلاءم ومعتقداتك وتغير منها؛ ليليق بأسلوب حياتك فقط، ولست مضطراً على تلقف أي شيء لأنك ستسقط بلا شك.

حالنا مع الوافد الغربي الذي نعايشه منذ قرنين من الزمان، أنه لم يُقدم لنا على طبق من ذهب، فقد جاءنا على ظهر دبابة في ركاب الغزوات الاستعمارية، وجعلته شماعاً في تأييد النهب الاقتصادي والحرب العسكرية، وأمتنا كانت في أحلك حالاتها من ضعف وهوان الأمر الذي جعلها مكتوفة الأيدي عاجزة عن تحديد موقفها بالإيجاب أو القبول فلا فرقاً النافع من الضار، ولا الملائم من المناقض؛ لأن الهوية الثقافية قد تشوهت بالفعل في حقبة التراجع الحضاري، في عصر المماليك والعثمانيين والأمة بأكملها ظلت متمسكةً بالهوية والموروث حتى انحازت التي تسمى الصفوة المؤثرة إلى المناهج الغربية بجملتها التي تدعو إلى نبذ الهوية والبعد عن الثقافة، وأخيراً ضم الثقافة الغربية إلى الأحضان على أساس أنها المنقذة من هذا الغرق! (عمارة ، 2002، صفحة 6).

إنَّ العامل الرئيس الذي جعل الأمة تجري وراء القطار الغربي، هو انعدام الثقة في نفوسهم أولاً، وحكوماتهم المُدعنة للغرب ثانياً، وثقافتهم التي يرونها مبتورة ثالثاً، ويتمثل التصدي للزحف الثقافي الغربي بإعادة الثقة إلى الأمة، ثقة كل فرد بنفسه ليخطو نحو المستقبل بخطى ثابتة، عازماً على البناء والتطوير دون قيود تكون حدوده السماء، كذلك ثقته بوجود دولة تقف وراءه تحنضه وتقدم له ليقدم لها ما يستطيع إليه سبيلاً، ثقته بأهميته وأهمية صوته في التغيير وإحداث الفرق، ثقته التامة بأنه إنسان تُحفظ كرامته ولا يُهان في وطنه، مثلما له حقوق فعلية واجبات، أيضاً ثقة الفرد بثقافته التي لا مثيل

لها، لماذا نستبدلها ونتحول عنا؟ وهي أم الحضارات وميراث السماء، ومهد القيم التي يقع على عاتقها إنتاج أجيالٍ محط فخرٍ وعزٍّ كما أسلافهم، فالقدوات من أنبياء ورسل ومفكرين أفاذا كثيرة لا حصر لها.

نقطةٌ أخرى أن المثقف العربي وكل مواطن عربي أو مسلم مطالبٌ بالدفاع عما شاده الأجداد وما بُذل فيه الغالي والرخيص من تضحيات ودماء، ألا وهو حصن الثقافة العربية وأصولها، فمقدساتنا الدينية تُداس وتُدنس ولا حياة لمن تتادي، شعوب مسلمة كاملة يُمارس بحقها أبشع أنواع العذاب والقهر، ولا تجد من يقف ويقول لا للظلم أو يحرك ساكنًا؛ بل ينتظرون قرار الدولة الأمريكية العظمى في هذا النزاع وهي من تقرر الظالم من المظلوم وبعدها يكرر الجميع ما قالته ويؤيدونه، ولو كانوا يعلمون في قرارة أنفسهم أنه خاطئ، إنها لعنة فظيعة أن تجد أخاك في الإنسانية والدين يعاني ويستتجد وأنت تمارس حياتك بشكلٍ طبيعي لا تأبه لشيءٍ إلا لفنجان قهوتك الذي أعدته لتشربه باستمتاعٍ على أنغام موسيقى أجنبية، لتعيش في عالمٍ موازٍ، وقد تكون الأمة العربية الإسلامية تبخرت فعلًا، ولم يتبقَ إلا الأقلّة القليلة منها (محمد سيد، 1994، صفحة 383).

ومن المؤكد أن من أهم واجباتنا أيضًا إعمال العقل فالإنسان مخلوقٌ فوقي ميزه الله عن سائر عباده بالعقل والتفكير والاختيار، لكنّ البعض يصرّ على مساواته بالطبيعة، وجعله متساويًا مع الآلة والتكنولوجيا، وجعله متساميًا مع الماديات الأخرى بلا بريق أو قدسية لجنسه، فالإنسان خُلق ليعمر الأرض ويستخلف كل صالح فيها، وتقع مسؤولية ذلك على الوالدين أولًا دائمًا وأبدًا ثم الدولة وهيئاتها من مدارس وجامعات ومؤسسات، فهذه نقطة مهمة إغفالها واستمرارية التملص منها يعني تناول طُعم الخنوع دون أي مقاومة أو وعي بذلك الطُعم وهذ كارثيٌّ حقًا.

وفي هذا يرى إدوارد سعيد أننا لا نستطيع أن نسمي الحضارة الغربية إلا خرافةً أيولوجية تعتمد على حفنة من القيم والأفكار لا تتجاوز فتوح البلدان والسفر منها وإليها والاستيطان فيها فاختلاط الشعوب وتويع الثقافات و الأجناس تشترك في تاريخ معقد للحروب وحالات الإبادة إلى جانب المنجزات

السياسية والثقافية وكلها تقع تحت مسمى الرسائل المضمرة في الاستشراق والتي أسفرت عن الكشف عن سوء التمثيل وكيفية تواطؤ الفهم مع السلطة في خلق ما يسمى الشرق والغرب والصراع فيما بينهما (سعيد، 2006، الصفحات 526-527).

وتوجز الباحثة نحن أمة أعزها الله بالإسلام ومن حسن حظنا أننا خلقنا مسلمين، أو بعض منا انهدى إلى نور الإسلام فانضم إليه، فلا مبرر للتخلي عنه، ولا مبرر ليقصر على بعض الشعائر، الدين الإسلامي كما ذكرت في موضع آخر من هذا البحث أنه منهج وشريعة، شامل متكامل يغنينا عن الأنظمة البشرية التي ما برحت إلبًا والفساد متغلغل فيها، والصمت هو عنوان المرحلة الذي جعلنا ضحايا لهذا الاستعمار الثقافي وأوصل الأمة إلى مرحلة اللامبالاة وعدم الاكتراث.

ومن الواجب على أبناء الأمة متابعة السير والمضي قدمًا مع تجنب تأثير استراتيجيات الفكر الغربي وخطاب ما بعد الاستعمار والهيمنة بكل أشكالها، والتطلع للثقافات الأخرى ومحاولة الاستقلال بثقافتهم والاعتزاز بها، فشاباب أمتنا مهما أعجبوا بالغرب وتأثروا به سيرجعون إلى رشدهم وسيعلمون أن ثقافتنا لا مثيل لها عصابة عن النسيان،..“فلا يروغتك تخلفنا هذا قضاء التاريخ، وعقابنا البعد عن روح حضارتنا وديننا، وقد جاء دورنا ولا بد أن نتعلم علم أوروبا كله وأن نصل إلى ما وصلت إليه من صناعات وفنون، فبهذه الآلات قهرتنا وأدلتنا وأشمنتت فينا كل حقود“ (كشك، 1966، صفحة 171).

الفصل الثاني

التحيزات وأشكالها المرئية واللفظية في فيلمي قناص أمريكي و الحرس القديم.

بطاقة فيلمية: قناص أمريكي

- اسم الفيلم: قناص أمريكي American Sniper .
- تاريخ الإنتاج: 2014م.
- مدة العرض: 133 دقيقة.
- المخرج: كلينت إيستوود.
- كاتبه: جايسون هال.
- سيناريو: جايسون هال.
- اللغة الأصلية: اللغة الإنجليزية.
- بطولة: برادلي كوبر بدور كريس كايل، سينيا ميلو بدور تيا زوجة كايل.
- المصور: توم ستيرن.
- موقع التصوير: لوس أنجلوس _كاليفورنيا.
- التوزيع: وارنر برذرز.
- الشركات المنتجة: وارنر برذرز، وارنر بروس بيكتشرز.
- الميزانية: 58.8 مليون دولار أمريكي.
- الإيرادات: 547.4 مليون دولار أمريكي.
- المشاهد متسلسة تدريجيًا

المشهد: يفتتح الفيلم بداياته بشاشة سوداء يرافقها صوت أذان مسجدٍ يصدح بـ “الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله.” ثم تتغير الشاشة إلى صورة دبابة كبيرة ويتبدل الصوت بصوتها المزعج تمشي على أنقاض مدينة مهتمة وفي داخلها جنود أمريكيون ومحاطة أيضاً بجنود الجيش الأمريكي المسلح والمدجج من أخصم القدمين إلى أعلى الرأس، فالعتاد والذخيرة، والاستعداد لأي مهمة أو جديد.

إن فيلماً أمريكي بضخامة هذا الفيلم صُرفت عليه ملايين الدولارات، وحصد جوائز كثيرة، وترشَّح لجوائز عدة هو وممثليه، فإنه يحمل العديد من الرسائل الخفية أو لنقل التلميحات الخطرة، فافتتاح الفيلم بصوت الأذان فيه تحيزٌ واضح ضد الدين الإسلامي ومحاولة جريئة في ربط الإسلام والمسلمين بالعنف والإرهاب والقتل والدمار، ولا سيما أن صوت الأذان الحاني نداءً ربانيّ إلى عباد الله لرص الصفوف وأداء الفرائض وأن الله أكبر من أي شيء ومن أي قيمة في الدنيا بأكملها. فالسينما الأمريكية وظفت هذا المشهد وحاولت ربطه بشكل لا شعوري باللون الأسود (خلفية الشاشة) في دلالة واضحة على الشر والرعب.

أمّا صورة الجيش فجاءت منظمة مرتبة حسب تكتيكات وتدريبات معينة، وهنا إشارة واضحة أن الجيش نظامي ملتزم متخذ إجراءات الوقاية كافة للدفاع عن النفس؛ بصورة لطيفة تجعله في موقف المعتدى عليه وليس العكس.

المشهد: صورة المُجزرة تدوس على طوب حجري بجانبه برميل صدى، أشجار نخيل متفرقة، مع مشهد الشوارع غير النظيفة المليئة بالقمامة والقاذورات، بيوت قديمة ملتصقة ببعضها بعضاً يغطيها الإسمنت.

إنّ هذه المشاهد عُرضت كشيء ثانوي يثري مشهد الاقتحام ومع هذا ففيها تحيزٌ واضح ضد الثقافة العربية الإسلامية، فتناثرت بعض التعاليم، فالنظافة ليست من الإيمان، والمظهر بات متخلفاً عارياً عن الرقي والحضارة اللتين تدعيهما حضارة بلاد الرافدين، ونفطها لم يجن لها إلا الفقر وسد الرمق،

والحضارة العربية الإسلامية صاحبة التاريخ العريق انحصرت بأشجار النخيل الباسقة وبيوت اسمنتية وشوارع تغطيها القاذورات ومقتنيات صدأه بلا قيمة، دون التطرق لأي معالم فيها ازدهار أو تمدن بشكل مقصود.

فإذن تداعيات الأيدلوجية العنصرية ترفع من شأن المُعتدي أو المُستدمر (المُستعمر)، وتحطّ من شأن المُستعمر، فتجعل المُشاهدَ قادرًا على تشكيل صورة ذهنية من الصعب الفكك منها و تُميط اللثام عن كون الفيلم عنصريا متعسفا يدعو إلى البُغض وفي سبيل تحقيق ذلك الهدف تُجسّد خطابات وأحداث تجري ضد تيار التاريخ المُتقدم (جوهر محمد، 2016، صفحة 16).

وصورة المُجنزرة التي تسحق كل شيء أمامها، فيها دلالة خفية على هيمنة الثقافة الأمريكية وطحنها لكل ما تواجهه غير مكترثة لأي عواقب، المهم أن تصل إلى ما تريد وتحقق أهدافها المرجوة.

المشهد: من أعلى سطح سكني يتحدث جندي السيل مع صديقه القناص وهما يراقبان الدبابة والجنود، فيقول متأففاً: "إنها كصندوق ساخن لعين، والغبار اللعين هنا مذاقه مثل غائط كلب".

يصوّر الجندي هذه المدينة العراقية بالصندوق الساخن اللعين لشدة حرها، فمناخها الحار لا يعجبه ولا يلائم بشرته الشقراء التي اعتادت الأجواء الباردة أو الدافئة في دولته الأمريكية، وهذا ما يسمى بخطاب الكراهية التي تؤكد عليه ألفاظ بذيئة مثل: لعين وغائط وكلب، وترى الباحثة أن استعمال كلمات توحى بالاشمزاز ومدى سوء معناها وفضاظتها فيها نوع من القسوة والتعصب، "فهوليود مثلاً لا تنشر رسالتها السياسية بشكل مباشر وفج بالضرورة، مع أنها تفعل ذلك أحياناً، بل إنها أتقنت فن خلق الانطباعات والتلاعب بالعواطف بشكل خفي غير مباشر" (علوش، 2013، صفحة 8). والمُشاهد بشكل لا إرادي يتعاطف مع الجندي القناص وصديقه في جوٍ ملتهب شديد الحرارة، مع أنهم في حقيقة الأمر يتخذون موقع الاعتداء وليس الدفاع.

المشهد: صور مفصلة وبشكل دقيق لبيوت إسمنتية تقليدية، شبابيك بحراسة حديدية، أبواب فولاذية صدأه، خرقات عفنة تحيط بالمنازل، طرق ترابية وغير مستوية مليئة بالقاذورات، قمامة مكومة على أبواب المنازل، ملابس كثيرة منشورة على حبال غسيل ممتدة بشكل عشوائي غير لائق، أسلاك كهربائية ممتدة بين أعمدة وأخرى على الطرقات.

هذه الصور المتتالية تلفت نظر المشاهد بأنها مقصودة في السيناريو ولم تكن مجرد مشهد ثانوي، والمشاهد بنتاليها تزرع في لاوعي المشاهد فكرة عن طبيعة الحياة اليومية للعرب المسلمين، فهم ما يزالون بعيدين عن اللحاق في ركب التطور، بيوتهم ما زالت كما هي من قبل عشرات السنين شبابيكهم موصدة كما أبوابهم، قماماتهم لصيقة بهم، ملابسهم أقمشة بالية، لا علاقة لهم بالنظام أو الترتيب، فكل شيء عشوائي بلا هدف أو غاية.

وبين طيات اللقطات السينمائية تدرك الباحثة أن مشهد الأبواب الحديدية والشبابيك التي تحيط بها الحراسة الحديدية، ما هو إلا عقل المواطن العربي المنغلق على ذاته وتأخره، أيضاً فكره الرجعي، وثقافته البدائية المتمسكة بالقديم.

المشهد: القناص من أعلى السطح يراقب المنازل المجاورة، يرى رجلاً في مقتبل العمر، شعره أسود مجعد، بشرته حنطية، جسمه ممتلئ بعض الشيء، يخرج من أعلى سطح منزله يراقب الجنود الذين اقتحموا البلدة بنظرة عدائية ثقابة، ثم يمسك هاتفه ويجري مكالمة سريعة كأنه يخبر أحداً بالحدث.

إنّ السينما الأمريكية حريصة كل الحرص على تفاصيل دقيقة قد يراها المتفرج عَرَضية، ولكنها في الأعم الأغلب لا تأتي صورة ولا يأتي مشهد دون غيره؛ إلبا لتحقيق فكرة معينة أو لإثبات شيء ما، فهنا تم وضع صورة نمطية للشخص العربي وهي بلا شك صورة متحيزة ضد العرب، جاء حنطيّ البشرة شعره أسود مجعد نظرته عدائية حادة، كذلك لا يتمتع بجسم رياضي أو هيئة رشيقة، إذن فالصورة غير لطيفة أو محببة.

المشهد: يرى القناص الرجل وهو يتحدث بالهاتف، ويرجح أنه يتحدث مع السيّدة الكبيرة أو مع حبيبته (مع اختلاف الترجمة).

في هذا المشهد نكاد نرى بوضوح اللقطة التي تلمّع صورة الأمريكي أو الغربي ونظرته تجاه الشرقي، فلم يحكم عليه من مجرد نظراته الحادة، وفيها رسالة مفادها أن الغربي لا يحكم على العربي بمجرد الشكل، مع أن ما يحدث حقيقةً هو تحيزهم الواضح ضد العربي بمجرد الشكل قبل الفعل، ومع أن الرجل الذي خرج إلى سطح المنزل وأجرى مكالمته، لا يخفى على المشاهد أنه ينوي القيام بشيء ما، وفي الفيلم لم يطلق القناص النار عليه؛ لأنه لم يتأكد بعد من مدى إجرامه ولم يطلق حكمه عليه من ملامحه الحادة.

الباحثة تجد المشهد في غاية الأهمية، فالفيلم يوجّه رسالة مضمونها أن نظرة الغرب للشرق نظرة بريئة، وأن الغرب إذا أغاروا على أحد فالحق معهم؛ لأنهم لا يتهمون أحدًا زورًا، ويتحرون الدقة في عملهم وإن كان هذا العمل حربًا.

المشهد: بوابة عمارة سكنية تخرج منها سيّدة ترتدي عباءة عراقية سوداء تغطي الرأس من الخلف فوجهها مكشوف ويدها كذلك، بشرتها حنطية أقرب للسمرّة ووجهها عابس، ويدها كأنهما تتفقدان شيئاً مخبئاً بحوزتها، يرافقها طفل لا يتجاوز العاشرة من عمره يرتدي ثوبًا بنيّ اللون (دشداشاً) ومعالم وجهه لا تختلف عن أمّه بشرته سمراء عابس الوجه مطأطئ الرأس، القناص يشاهد ما يحدث و يتحدث عبر الهاتف: "نعم، لديها صاروخاً يدويًا، تحمل صاروخ آر كي جي روسي تمرره للطفل الآن"

الجندي المُجيب مستكراً: "هل قلت امرأة وطفل؟"

فيؤكد القناص للجندي أنه لو يلقي نظرة؛ لأن المرأة بطبيعة الحال ناولت الطفل هذا الصاروخ الصغير؛ ليفجر نفسه في قافلة الجنود المتمركزة في وسط الحي.

يُجيب الجندي: "سلبى، أنتَ تعرف ما أعني القرار لك".

يقول صديق القناص وهو الجندي الذي يحميه: "ستُعاقب أشد عقوبة إذا كنت مخطئاً، سوف يرسلوا مؤخرتك إلى سجن ليغينورث".

ينتهي المشهد بأن الطفل يعدو بالصاروخ نحو الكتيبة، والقناص متردداً هل يطلق النار أم لا، لا يستوعب أنه سيقتل طفلاً، ولكن سرعان ما اقترب أكثر من الكتيبة أطلق عليه النار، فوقع أرضاً، أسرعَت الأم التقطت الصاروخ من ابنها بعد وقوعه وأمسكت به ومضت لتفجّر نفسها في الكتيبة ولكن القناص كان لها بالمرصاد فأرداها قتيلاً كابنها.

في الحقيقة مشهد قصير لكنه زاحر بالتحيزات ضد العرب والمسلمين، فلم يسلم من هذه التحيزات لا رجل ولا امرأة ولا حتى الطفل الصغير، ولو تأملنا الموقف والسيناريو مراراً وتكراراً لوجدنا صورة المرأة العربية الجاهلة التي تُسلم ابنها صاروخاً وهو في سن الطفولة؛ ليفدي وطنه ويُفجّر نفسه والجنود، فهي أم متخيلة عن أبنائها وفلذات كبدها، كذلك جعلهم محط تعطشٍ للدماء والقتل وكأن هذا جزءاً من ثقافة العربي ككل.

ويرجع الفيلم ليستحضر صورة العربي ذي الملامح الحادة، المرأة والطفل بشرتهما سمراء، نظراتهما مُربكة، ملابسهما رثة بالية، توحى بالوحشية والرعب، أيضاً من خلال طريقة التصوير يشعر المشاهد أنّ هؤلاء وأشباههم أنماط للعنف والإجرام.

تلقت الباحثة إلى الطرف الآخر كما جاء في الفيلم (الجندي الأمريكي) يحاول جاهداً وقد المستطاع ألا يقتل طفلاً أو امرأة أو مدنياً و يبعدهم عن الأمور العسكرية قدر الإمكان، فهُم جاؤوا أساساً كما يظهر في الفيلم؛ لإنقاذ المدنيين من بطش القاعدة والجماعات الجهادية، فيتفاجأوا أنّ المدنيين ليسوا بمدنيين! وهذا مُبرر خطير لمشروعية تدمير أهداف عديدة، ووصولهم على الضوء الأخضر لقتل المدنيين؛ لأن الأخيرين -كما يدّعون في الفيلم- يتبعون للإرهاب وهم جزءٌ منه، وهنا تظهر الصورة التجميلية للرجل

الغربي أو لنقل الأمريكي، فهو محارب سوي خلوق لا يلجأ للعنف إلا إذا اضطره الطرف المقابل لذلك، أو دفاعاً عن النفس، ومع هذا كله هو في الواقع المُتهم وليس البريء!، "إذن فالقضية تتجاوز العنصرية إلى تعصب أمريكي شوفيني يهدف لتعبئة الرأي العام الأمريكي والعالمي، وحتى العربي، في الحرب على الإرهاب، وهذا الإرهاب المُرتكَب ضد الأمريكيين في الأفلام -سواء من أطفال أو كبار مقاومين- يصبح مبرراً عاطفياً لتسوية الإرهاب الأمريكي من العراق إلى كل مكان حول العالم" (علوش، 2013، صفحة 138).

المشهد: البطل (القناص) صغيراً يعلّمه والده على حمل القناصة وتحديد الهدف في الغابة، فيُصيب الطفل الصغير غزالاً ويرديه قتيلاً، يبتهج الأب ويقول: "سوف تكونُ صياداً ممتازاً يوماً ما".

تري الباحثة في المشهد مقارنة صريحة بين الأب الأمريكي الذي يعلّم ابنه على حمل السلاح بغرض الدفاع عن النفس، فقد تنبأ بموهبة ابنه ونمائها، والذي أصبح فيما بعد قناصاً ماهراً يُضرب به المثل يخدم وطنه بكل وفاء وولاء، وبين الصورة السابقة صورة الأم العربية التي ناولت ابنها صاروخاً ليلقي بنفسه إلى التهلكة عن جهلٍ بلا دراية.

فالصورتان تشكلان تناقضاً صارخاً لدى المُشاهد، ومن الطبيعي أن يسعد لصورة الأب مع ابنه ويتفاعل معها وقد تعجبه الفكرة، وأن يتشائم مع الصورة الثانية صورة الأم وابنها الذي يحمل صاروخاً والتي يصعب على المُشاهد العربي والمسلم تصديقها، ولا تستبعد الباحثة أن هذا المشهد من نسج خيال المؤلف؛ فقط لتسوية صورة الأسرة العربية وتفكيك أسسها، ولم لا؟ فكل مشهد أو صورة يتبوأ دوراً في الكشف عن التحيزات العالمية.

المشهد: يجلسُ والد القناص رجلٌ ثلاثيني أشقر بعيون زرقاء جسمه ممشوق طوله مقبول عضلاته مفتولة أبٌ حكيمٌ واعٍ، على قمة طاولة الغداء، زوجته تجلس على يمينه ببشرة بيضاء وعيون زرقاء، بشعر أشقر قصير، ترتدي نظارات طبية، هادئة رزينة، تسمع حديث زوجها مع الأبناء وتحاول بإيماءة

بسيطة ألاً تجعله يتفوه بألفاظ نابية لا تليق بعمر طفليهما، الأطفال الأول (وهو القناص البطل) يبدو في سن الثانية عشرة أما الثاني في سن التاسعة تقريباً، يتمتعان ببشرة بيضاء، وشعر أشقر أملس، جسم صحي لا سمين ولا نحيل، يجلسان بمحاذاة بعضهما البعض من الجهة اليسارية لوالدهما مقابل والدتهما، يصغيان لوالدهما جيداً، مع إظهار الاحترام.

يقول الأب: "هناك ثلاثة أنواع من الناس في هذا العالم: الخراف، والذئاب، وكلب الراعي. لوطرق الظلام أبوابهم لن يعرفوا كيف يحمون أنفسهم هؤلاء هم الخراف. النوع الثاني هو حيوان مفترس، هؤلاء يستخدمون العنف نحو الفريسة الأضعف، هم الذئاب. وهناك أشخاص لديهم القدرة والقوة التي يحتاجونها لحماية الضعفاء، يجعلون الخراف أمام الذئاب أولئك هم نادرون وهم كلاب الراعي. نحن لا نربي الأغنام في الأسرة، وسأجلد مؤخرتكما (الأم تومئ للأب أن الكلمة غير ملائمة) إن تحولتما إلى ذئاب، ولكن نحن نحمي أنفسنا، إن أراد أحد مقاتلتك أو إيذاء أخيك الصغير لديك الإذن بالقضاء عليه."

تبرز بوضوح في هذا المشهد الأسرة النموذج أو الأسرة الأمريكية التي يُروج لها الفيلم، أسرة مثالية حيث يتعاون الأب والأم في تربية الأبناء وتوجيههم وتقديم النصح والإرشاد لهم، أبناء أسوياء لا يُجادلون ينصتون لوالدهم ويوقرون والدتهم.

فمن وجهة نظر الباحثة ترى أن الكاتب يمرر فكرة التربية الحديثة، والتي يضبط الوالدين نفسيهما ويحل الوالد المشكلة من باب التوعية (فالابن الأصغر قديم من المدرسة مضروباً على عينه) فلا يوبخ أو يضرب ولم يسأله مباشرة من ضربك؟ أو لماذا عينك متورمة؟! بل جاء معلماً لأبنائه وقسم الناس حسب رأيه إلى ثلاثة أقسام، وجعل أبناءه يستنتجون ماذا يجب أن يكونوا، فلا يريد لهم أغناماً ولا ذئاباً، ولم يقلها لهم بشكل مباشر إلبا بعد أن عدّد أنواع الناس وجعلهم يُعيدون التفكير ملياً، فكان رحيماً معهما وصنع من الموقف درساً تعليمياً لهما، حتى أجاب الابن الأكبر أنه دافع عن أخيه الصغير عندما تعرّض للضرب وقد نال ممن آذاه.

إن مثل هذه المشاهد لا تقتصر على التربية والتنشئة فحسب، بل تطال ذلك إلى شيءٍ أعمق من ذلك بكثير، فهنا إشارة إلى ثقافة الحوار التي تنتهجها الإدارة الأمريكية مع أصدقائها وخصومها على حدٍ سواء، وأنها لا تبدأ حرباً ولا خصاماً مع أحد، سياستها قائمة على التعاون بين الحضارات.

الوالد عندما يقول: “ولكن نحن نحمي أنفسنا إن أراد أحدٌ مقاتلتك أو أراد إيذاء أخيك الصغير لديك الإذن بالقضاء عليه“. أيضاً ترى الباحثة في هذه الكلمات تبريراً لحروب الولايات المتحدة التي تشنها على العراق و أفغانستان وغيرهما، وأنها تقع ضمن الدفاع عن النفس وحماية المصالح، وقد يرمز الأخ الصغير إلى إسرائيل فهي دائماً تحت عهدة الولايات المتحدة (الأخ الكبير) تُصادق من يصادقها وتُعادي من يُعاديها، فهي مستعدة للقضاء على من يمس أمن إسرائيل أو يُزعزعه.

المشهد: صورة البيت الأمريكي النظيف المطلي باللون الأبيض، خزائن بيضاء يدخل اللون الذهبي في بعضها، صور فوتوغرافية للعائلة معلقة عند المطبخ أو في غرفة الطعام، المنزل فيه شيء من الفوضى البسيطة المعقولة، ستائر بيضاء تتلاءم مع ألوان الأثاث بشكل يوحي بالأناقة، طاولة الطعام مستطيلة الشكل لونها خشبي وكراسيها من نفس اللون تحيط بها، الصحن مرتبة بحيث أمام كل شخص صحن واحد وتحت كل قدر أو صحن قطعة قماش تعطي الصحن رونقاً خاصاً، قدران متوسطان وملّاحتان كلون الطاولة على وسط الطاولة، السكين والملعقة في الجهة اليمنى والشوكة في الجهة اليسرى، كمية طعام تتناسب مع كل فرد من أفراد الأسرة، نوع الطعام فيه جزر وبطاطا مسلوقة وقد يكون بعضاً من كرات اللحم، خبز مقطع داخل سلة أيضاً على طاولة الطعام، وأمام كل شخص كأس فيه مشروب.

هنا تبدو جليةً الهيمنة الثقافية في التفاصيل الدقيقة التي تفرضها الولايات المتحدة بشكلٍ خفيٍ والتي يتلقاها المشاهد بصدورٍ رحب، من ألوان المنزل لطلائه إلى الأثاث وترتيب الأشياء، خزائن بيضاء معلقة تجذب النظر، ستائر بيضاء جذابة معلقة تشرح النفس على الباب الزجاجي الشفاف، فاللون الأبيض يحمل دلالة الطمأنينة والإرتياح، كذلك نمط التحف على الواجهة خلف طاولة الطعام، أدوات الطعام

المرتبة، أسلوب الحياة الهادئ البعيد عن الضجيج والصراخ، كذلك العدد المثالي للأبناء يجب أن يكون قليلاً، فهم ليسوا بكثرتهم.

أيضاً ثقافة الشوكة والسكين التي أصبحت عالمية ورمزاً من رموز الرقي، كميات الطعام التي تتم عن الإقتصاد والبُعد عن التبذير، كذلك نوع الطعام متوازن ومتنوع، وهنا إشارة إلى الأم الأمريكية الواعية التي تتعزز غذاء وصحة عائلتها.

إن ما يزال الفيلم يقدم تحيزات ثقافية ضد العرب والمسلمين، وتحيزات لصالح الثقافة الأمريكية ونمذجتها.

المشهد: القناص في عمر الشباب، يمتلك كوخاً خاصاً به، يقضي فيه بعض الوقت برفقة صديقه أو حبيبته، يغيب مدة قصيرة عن الكوخ وعند رجوعه يجد حبيبته تستضيف صديقاً لها، ويجدهما في غرفة النوم يُجن جنونه ويضرب صديق حبيبته ويطردهما من منزله، وتستهزئ صديقه منه كونه راعي بقر يعمل في المزرعة مع أخيه الأصغر.

تمر فكرة ثقافة الاستقلال والبُعد عن الوالدين التي يُطالب بها شباب أمتنا؛ ذلك ليسرحوا ويمرحوا دون رقيب أو حسيب، وهذا يؤدي إلى نقض القيم والتخلي عنها، فهم يمتثلون بالشباب الأمريكي المستقل والذي يعيش كما يحلو له بلا ضوابط أو رقابة.

وهنا إشارة قد يتنبه لها المشاهد أن شجاعة القناص وصلابته تأتي من كونه راعي بقر أو "كاو بوي"، وهو ابن مدينة تكساس أساس رعاة البقر وأصلهم.

وترى الباحثة أن صديقة البطل تخلت عنه واستبدلته بحبيب آخر؛ لأنه غاب مدة من الزمن عنها لا نعلم بالضبط ولكنها لا تزيد عن أسبوع، هكذا هو مفهوم الحب والارتباط عندهم، يستبدل الحبيب حبيبه إن

غاب عنه، ولا يبحث عن أسباب الغياب أو يسمع للمبررات، فتصبح الحياة كحياة البهائم مادية لا أنسنة فيها إلا الاسم.

المشهد: أثناء التدريبات العسكرية يسأل المدرب بعضهم: "لماذا جئت إلى هنا؟"

يُجيب: "أنا جئت هنا لقتل الإرهابيين".

كانت هذه التدريبات لاختيار جنود أقوىاء ثم إرسالهم إلى العراق، فالتحيز اللفظي لا يخفى عن المُشاهد، وإجابة الرجل الذي يتدرب تدل على فهم الكل الأمريكي أن كل ما هو عربي أو مسلم هو وجعٌ للإرهاب، أو على الأقل مرتبطٌ به، وهنا تكمن العنصرية في الجمع والتعميم، فلماذا على الإرهاب أن يرتبط بالمسلمين دون غيرهم؟ ونرى جيوشاً وجماعات تمارس القتل والعنف ولكنها غير مدرجة ضمن قائمة الإرهاب، قد يكون المبرر أنهم ليسوا إسلاميين أو عرباً!.

المشهد: في حانة لشرب النبيذ يلتقي القناص بامرأة يتعرف إليها ويتجادبان أطراف الحديث، تقول له: "أنتم العسكريون أنانيون، وخائنون.."

يردُّ القناص: "كيف تقولين ذلك وأنا أضحى بنفسى وروحي لأجل بلدي؟" فتتساءل المرأة: "لماذا؟"

يجيبُ بفخر: "لأنها أعظم بلد في العالم، وسوف أفعل كل ما في وسعي لأحميها."

حانة الشرب وطلب كاسات النبيذ مراراً هي عادة أمريكية غربية بحتة، وفي هذه الأماكن يتعرّف الناس على بعضهم بعضاً ويشربون حتى الانطفاء التام وهم في قمة اللذة والإنتشاء، وقد يفقدون الوعي من كثرة شرب النبيذ إلا أنهم يشعرون بالحرية والاسترخاء، فعادة الشرب ليست مجرد عادة إنما هي الهروب من سجن الطبيعة والركض نحو أحضان الحلوية.

تجد الباحثة أن إجابة القناص وفخره ببلده الولايات المتحدة، ليست إجابة عادية؛ بل هي استكناه لكل مواطن أمريكي، تقدّره دولته وتحترم أصله وعرقه ودينه توفر له ما يحتاج تفتح له ذراعيها وتحتضنه

بحلوه ومره، تكفّف دموعه لا يهتمها من أي بقعة جغرافية أتى ولا سبب مجيئه المهم أنه وصل أرض الأحلام وهي بدورها لم تتركه وحيداً، وهذا أقل واجب يستطيع المواطن الأمريكي أن يقدمه لدولته التي احتوته وكأنه رُدُّ جميل، أيضاً يظهر مدى فضلها على الإنسانية جميعها، دون جحودٍ أو نكران من أي أحد، فإخلاص المواطن (القناص) لم يأت عبثاً، كما جاء في الفيلم.

المشهد: يقول القناص للمرأة: "قلتي أنك لن تواعدي أحداً من قوات السيل؛ لذلك أنا ذاهب للمنزل."

ترد: "أنا قلت أنني لن أتزوج واحداً."

بعد فترة وجيزة يتواعدان في متنزه عام، ويهديها دبدوباً كبيراً، بعد مدة يزورها في بيتها فتستقبله بملابس داخلية مخرية وتتقرب منه ويتبادلان القبل ثم تحدث علاقة بينهما، ثم يلتقي بها مرة أخرى في منزلها، فتقول له: "أنت بالكاد تعرفني"

فيُجيب: "أنت فرصة لا تعوض حبيبتني، سوف نتزوج ونبني عائلة".

لا بد أننا أمام مفهوم جديد يُسمى المواعدة بين الذكر والأنثى ويكون ضمن نطاق الصداقة والتعارف، ومن المشهد فالمواعدة لا تتوج بالضرورة في الزواج، كالفتاة التي كان يواعدها البطل في كوخه في بداية الفيلم، وإنما هي تعارف وتواصل وليس غريباً أن تصل إلى إقامة علاقات حميمة ولقاءات رومانسية، وهذه العلاقات ليست مبرراً للزواج أو مدخلاً له؛ وتقع ضمن مفهوم السعار الجنسي.

فالزواج عندهم هو حفل الزفاف أو ما شابهه، وليس كما عند العالم العربي الإسلامي، الزواج بداية حياة جديدة لكلا الطرفين، قد يلتقي الرجل بالمرأة وقد يتعارفان ولكن دون أي علاقة جنسية بينهما؛ لأنه في قاموسهم يُعبد تجاوزاً للخطوط الحمر ومصيبة كبيرة.

هذا المشهد بالذات تراه الباحثة ومضة خطيرة لأجيال المستقبل وشبابه؛ لأنه محاولة لنشر وتقبل، ثقافة المواعدة والمساكنة وغيرها من المفاهيم الغربية الدخيلة على مجتمعاتنا المحافظة على الدين، ثم على

العادات والتقاليد التي تنظم أطر العلاقات، واستعملت الباحثة كلمة تقبل؛ لأنه إذا تقبل المشاهد الفكرة فإنه اقتنع بها وراقت له الثقافة ككل، وتدرجياً يُصبح جزءاً منها، فمثلاً:

يخرج شاب في العشرينيات من عمره يلتقي بشابه يُعجب بها تنمو العلاقة بينهما فيتواعدان في مكان عام ويتحدثان، ثم تتطور الصداقة إلى علاقة جنسية، مع تغييب تام لدور الوالدين؛ ذلك لأنهم بالغون مستقلون عن أسرهم، مع تكرار العلاقة قد ينمو الحب ويتقدم الرجل لخطبة المرأة ويتم حفل الزفاف، وقد يسوء الحال عند أحد الأطراف فيتوقفان عن التواعد ويفشل مشروع الزواج، وفي هذا كله نقض لمفهوم الزواج وتقويض دعائمه، فالإسلام أطلق عليه مفهوم الميثاق الغليظ المكمل بالمودة والرحمة قبل أي شيء؛ ذلك تعظيم لدوره في بناء الأسر والمجتمعات القويمة.

المشهد: أحد الجنود يقول: "أهلاً بكم في الفالوجا مدينة العنف في الشرق الأوسط القديم."

تتوالى المشاهد أكثر فأكثر وتبرز التحيزات شيئاً فشيئاً، فالعراق بالطبع إحدى أهم وأشهر الدول العربية والإسلامية، صاحبة تاريخ عريق وحضارة مشرقة في الشرق الأوسط القديم¹، ومدينة الفالوجا جزء لا يتجزأ منها، والعراق ككل جديرة بحق أن تسمى مهد البشرية؛ لأن سكانها كانوا قبل ثلاثة آلاف سنة من قبل عهدنا هذا في حالة راقية من التمدن (مكاي، 1952، صفحة 1).

إن كلمة عنف تحمل في طياتها تحيزاً شديداً الضراوة، فالمُشاهد عندما يسمع الكلمة يدق ناقوس الخطر عنده ويبدأ يتخيل وكأنها مدينة أشباح تروج للقتل والتتكيل، فيأخذ ذلك الانطباع السيء المقيت عنها وعن العراق، وينسى المشاهد تماماً أنها قد تتحول إلى ذلك إن كان الأمر يتعلق بأعداء يتربصون ويمكرون لها.

¹ الشرق القديم مساحة شاسعة يبدأ من مصر حتى الصين ويضم الجزء الجنوبي من آسيا وشمال شرق أفريقيا، ويضم شريطاً طبيعياً تتالي الوديان الخصبة: وادي النيل، وادي دجلة والفرات (ما بين النهرين) وديان الهندوس والغانج في هندستان، ووادي هوانغ هو في الصين. ينظر: (دياكوف، 2000، صفحة 67)

وتجد الباحثة التحيز أيضاً في انتقاء الكلمات، ففي موضع سابق قيل: الولايات المتحدة أعظم بلد في العالم فندرك سبب هيمنتها وسيطرتها فالتأويل موجود، وقيل: الفالوجا مدينة العنف فندرك سبب إغارة الولايات المتحدة عليها وشن الحرب، فالدولة الأمريكية ترافقها ألفاظ حسنة محببة، أمّا العراق فترافقها ألفاظ من مثل العنف، الإرهاب، اللعينون،.. وهكذا.

المشهد: يقول قائد الجنود: "وظيفتكم (القناصة) هي حماية قوات المارينز عند تفتيش المنازل، حمايتهم بأي ثمن، هذه المدينة تم إخلؤها فأبي ذكر بعمر الجندي هو موجود لقتلك".

كلمات الجندي لها صدى، أن الجيش الأمريكي ملتزم بقوانين الحرب، وتكرر الفكرة في أكثر من مشهد، ويبرز في تحذيره للقناصة "أي ذكر بعمر الجندي موجود لقتلك"، ولم يقل أي شخص أو أي إنسان بغض النظر عن جنسه وعمره، وكأنه يمرر فكرة أنهم بعيدون كل البعد عن العنف وإرهاب الناس، وليس من شيمهم أن يقوموا بذلك.

تأتي جملة "حمايتهم بأي ثمن" لتوضح مدى إخلاص الجندي الأمريكي لجيشه وبلده، وعليه أن يفديهم بأي ثمن ولو كلفه ذلك روحه.

المشهد: ترجع الكاميرا لتصور أشجار النخيل، وأرضاً خراباً، وبيوتاً قديمة، وصحون ستلايت على أسطح المنازل مرتبطة بالتلفازو بيوتاً مدمرة، و التربة الصحراوية وفيها الكثبان الرملية.

تري الباحثة أن مثل هذه المشاهد المكررة التي تركز على المناخ العراقي والطبيعة وتصميم البيوت وتفاصيل الأسطح المليئة بالملابس المترامية، هي محاولة حقيقية لنزع الصفة التاريخية والحضارية للعراق، وكان الفيلم جاء معادياً للتاريخ وهداماً لمرجعياته.

والحقيقة أن أرض الرافدين تختلف اختلافاً جذرياً عن مصر والأرض المقدسة (فلسطين)، فإن سهل العراق العام الانبساط أشهب اللون ذو كثبان وهو السهل الذي يستهويك لاستطابة ما فيه، ولو كان

للناظر بُعد نظر لشعر بسرّ جاذبيتها وعجيب مزاياها، فهي مهد البشرية وليس من السهل على العالم أن يصل إلى هذا الحد من الحضارة والتقدم إلّا بعد آلاف السنين لا مئاتها (مكاي، 1952، صفحة 1).

هذا رأي التاريخ الذي لا يمكن لأي أحد أن يتجاهله، فكيف للفيلم أن يأتي بمشاهد يظهر فيها العراق بلدًا بمنأى عن العالم، وكأنها مكتفية بتخلفها وبععض الإرهابيين كما يدّعي الفيلم!.

ومما لا ريب فيه أن صورة الصحراء توحى بأن المسلمين منحدرين من القبائل العربية البدائية يحضهم إسلامهم على الكراهية والانتقام، وكانوا قد شكلوا في الماضي قوة انطلاق رئيسة متمثلة برجالهم الذين شكلوا رأس الحربة في الغزوات الإسلامية (جوهر محمد، 2016، صفحة 20).

المشهد: يتجمع الجنود؛ ليفتشوا بقية البيوت، تأتي سيارة زرقاء يقودها رجلٌ أربيعينيّ، بشرته سمراء، يرتدي نظارة سوداء، يقود بسرعة عالية وارتباك ولكن تظهر عليه علامات الثأر والتعطش للقتل، السيارة تتمايل يميناً ويساراً، يصيح القناص: "لينتشر من في الأمام السيارة مفخخة".

السيارة المفخخة مليئة بالمتفجرات والقنابل والأسلاك الممدودة، يمسك الرجل بيده سبحة تستعمل للهو اليد في التسبيح (من الشعائر الإسلامية) وفي نفس اليد يمسك جهاز التحكم للضغط على زر التفجير.

هنا تظهر "الإشكالية في فهم الإسلام لدى الغرب، بل ولدى الكثيرين من المسلمين أنفسهم، في الربط الوثيق بين الإسلام والعنف، وهذا نابع من الخلط بين العنف والجهاد" (حديدي، 2015، صفحة 53).

ومن وجهة نظر الباحثة صورة السبحة التي تعمدت الكاميرا تسليط الضوء عليها وهي مرتبطة بأسلاك القنابل والمتفجرات، تعبّر عن صورة الإسلام والمسلمين واتصالهم الوثيق بالدمار والتفجير، هي صورة رمزية فعلاً، وليست حقيقية بالضرورة، وإن كانت حقيقية فالسينما الأمريكية حولت المشهد لصالحها من خلال حنكتها الهوليوودية.

فحاولت السينما نزع الصفة الإنسانية عن العدو بشكل عام، (والعدو في الفيلم هم العراقيون بمستوياتهم كافة، كباراً، وصغاراً، ونساء)، بحيث يستحق عقاباً صارماً يسمح للمعتدي أن يمارس اضطهاده على المضطهد دون أن يكون مُطالباً بإبراز رحمته أو بتطبيق موثيق حقوق الإنسان (حديدي، 2015، صفحة 48)؛ وتبرير الأفعال التدميرية من خلال هذا التحيز اللا عقلاني على الأقل.

إنّ النظرة العنصرية التي تحملها السينما الأمريكية في طيات أفلامها، لها تبعات جسيمة على لا وعي المشاهد العربي قبل الغربي، فشعور التخلي عن هويته وثقافته لكي لا يُقال عنه إرهابي أصبح كابوساً يلاحقه، وأضحى بدلاً من مقاومة هذه الصورة والتصدي لعمليات الهيمنة ككل، أخذ يحاولُ قدر الإمكان أن يظهر بمظهر الغربي المتبني لثقافتهم ومبادئهم، وهذا كله لكي لا تُكشف هويته الإرهابية على حد زعمهم.

المشهد: رجل بشعر كثيف غير مرتب، يضع وشاحاً مرقشاً بالأبيض والأسود (الكوفية) على رقبته، يأتي مسرعاً إلى تربة يحفر فيها محاولاً زرع كميناً أو قنبلة، يراه القناص فيطلق عليه رصاصةً تنهي حياته وتُفشل كمينه.

يظهر في المشهد أنّ ما قام به القناص الأمريكي عمل بطولي، وما قام به الرجل العربي العراقي هو عمل إجرامي و يستحق أن يُقتل عليه، أنظر إلى التحيزات السينمائية التي أفتعت المشاهد أو المتلقي أن المعتدي على صواب وحق، وأن من يُقاوم المعتدي فهو إرهابي ومن واجب الطرف الآخر النيل منه، وهذا يحيلنا إلى نتيجة مفادها أن السينما تتحرك جنباً إلى جنب مع المصالح السياسية والعسكرية الأمريكية وأضف لها الثقافية التي تتبدى في كل مكان وزمان في عصرنا هذا.

أمّا صورة الوشاح المرقش بالأبيض والأسود جاءت إشارةً إلى الوسط العربي عامة؛ ذلك لأنهم يرتونها وهي جزء من ثقافتهم، فهذا الشخص المُرتدي للكوفية يمثل العرب من فلسطينيين وسوريين

ولبنانيين وخليجيين،.. وغيرهم، والفعل الذي يقوم به من زرع للمتفجرات وإثارة الفوضى يُمثلُ أفعالهم الحقيقية وصورتهم المشوهة التي يُروج لها الفيلم، فيخلقُ زعزعةً وعدم ثقةً بين الجانبين.

المشهد: رجل آخر يرتدي وشاحاً مرقشاً بالأحمر والأبيض يحملُ سلاحاً وعلى جنبه حقيبةٌ ويُرَجح أنها تحوي ذخيرةً ورساصاً، يمشي مسرعاً، ولكن رصاصةً القناص باغتته وما لبثت حتى اخترقت جسدهُ النحيل ذا البشرة السمراء.

تأتي صور التحيز تبعاً مُلحةً على إظهار مستوى الخطورة عند هذا الإنسان والذي يظهر في الفيلم كأنه من المخلوقات التي تنتمي إلى الحيوانات المفترسة، شرسة متعصبة لقوانين حياتها، وإن جاءها مَنْ يحميها تتمرد وتعصي أمره، على أساس أن القوات الأمريكية جاءت مسالمة!.

فتجد الباحثة أنّ مشاهد الفيلم دائماً ما ربطت صورة هذا المخلوق العربي المسلم (حنطيّ أو أسمر البشرة) مقرونةً بالقتل والفتك والفساد، والغالب الأعم لم يمر أي مشهد يظهر براءته وانتماءه إلى فصيلة الإنسان أو على الأقل ملامحه سَمحةً توحى بالأنسنة.

المشهد: يصدخُ أذان الفجر، صورة رجال المقاومة يدخلون منزلاً يختبئون فيه حاملين بنادقهم حادة تتطايرُ يميناً و شمالاً وكأنهم ينوون شراً، بعضهم يُلْف رأسه بوشاح وبعضهم يضع قُبعةً، مُلتحون بشرتهم بين الحنطية والسمراء، صورة نساء مُلتفات باللباس الأسود العباة التقليدية العراقية الثقيلة.

إنّ ارتباط أذان الفجر بحركة المقاومين وإيماءاتهم ومعالم وجههم وشخصياتهم، محاولة ناجعة لتعريف المُشاهد بهيئة العربي المسلم وطقوسه، كذلك التأكيد على الصورة النمطية للرجال والنساء وإخطار المتلقي بأن هذه الأنماط خطيرة وجب الحذر منها ومن نواياها الشريرة.

أمّا عن صورة النسوة اللواتي يرتدين العباة التقليدية السوداء، فجاءت الصورة وكأن اللباس حمل ثقيلٌ في جوٍ جافٍ صحراوي، فتظهر المرأة مسلوية الحق سوداوية النظرة فتربي أولادها على القتل والإرهاب، وينعكس ذلك على شخصيتها العدائية المضطربة.

تُدرك الباحثة خطورة هذا النوع من الأفلام الأمريكية التي تجعل الواحد منا متتكرًا لأصله، يذهل من كم التحيز المقصود إن دقق النظر وقارن بين الطرفين الرئيسيين في الفيلم وصورة كل منهما.

المشهد: يُحقق قائد الجيش مع القناص، بشأن قتله رجلًا عراقيًّا خطأً، ويقول له: "تقول زوجته أنه كان يحمل قرآنًا".

يُجيب القناص: "أنا لا أعرف شكل القرآن، ولكن زوجها كان يحمل حديدًا مضغوطًا وطلقات، كانت تشبه رشاش الكلاشينكوف".

في البداية ثمة حدث يجذب المشاهد وهو تعرض الجندي الأمريكي للمساءلة من قائده في حال تلقيه شكوى سببها عدم الالتزام بالموثيق الدولية أو حقوق الإنسان، ما يزيد من إيمانه أن الدولة الأمريكية دولة نظام وعدل حتى وإن كانت تغير على بلدٍ آخر فالحقوق محفوظة، كذلك فإن مشهد التحقيق نفسه في الفيلم يمرر فكرة أخلاقيات الجيش الأمريكي والدولة الأمريكية عامةً، ولا سيما أن المشهد يُظهر تحيزًا جادًا لصالح الأمريكي وصفاته.

وبلا شك تجد الباحثة أن استعمال مصطلح القرآن في المشهد جاء ليخدم النص السينمائي؛ ذلك أن القرآن كالأذان والمسبحة من شعائر الدين الإسلامي، فالقرآن جاء مكملًا لهذه الشعائر وبالتالي وصول صورة المسلم كاملةً للمتلقي المشاهد، كذلك ترى أن اعتراض الزوجة على موت زوجها؛ لأنه كان يحمل قرآنًا بينما يؤكد الجندي أن زوجها كان يحمل سلاحًا ضخمًا، فيه دلالة صارخة على التقارب بين حمل القرآن وحمل الكلاشينكوف، فحامل القرآن كمن يحمل سلاحًا يصوبه على الأمريكي، إذن فالقرآن والسلاح إنعكاسان لبعضهما بعضًا وهنا يكمن التحيز ضد الإسلام ومظاهره.

المشهد: قائد فرقة المارينز يقف أمام الجنود وراه شاشةٌ تَبثُّ فيديو مصورًا لرجال ملثمين يلبسون ملابس سوداء، يقفون بجانب بعضهم، أمامهم رجل من الرهائن الأمريكيين يجثو على ركبتيه، يرتدي بدلة حمراء كالتي تُلبس للإعدام، يمسك أحدهم سكينًا كبيرًا شبيهًا بالسيف وينحر عنقه كنحر الماعز.

يضع يده على الرجل الذي يحمل سكيناً، ويقول: "الرجل الذي يحمل السكين، هو مقاتل أردني يأخذ تمويلاً من بن لادن وقد دربه بن لادن، وبيع بن لادن، واسمه أبو مصعب الزرقاوي وهو أمير القاعدة في العراق، يتألف تنظيمه من خمسة آلاف مقاتل، وهؤلاء ليسوا جنوداً عاديين، فقد تلقوا أفضل التدريبات ويتقاضون الكثير."

بما أن الفيلم في خاطره إظهار العربي المسلم بأسوأ صورة، كان لا بد من عرض هذا المقطع الذي يظهر فيه الزرقاوي سفاحاً غير رحيم، أضف لذلك أنهم ربطوا هذا المشهد بأسماء بن لادن الذي اتهم بقضايا عديدة أهمها تفجير بُرجي مركز التجارة الدولية ويطلق عليها هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي اعتباره وجماعته إرهابياً خطيراً.

هذا يعني وصف المقاتلين أو المقاومين بالمجرمين، أفعالهم شنيعة وفكرهم أسود كسواد قلوبهم المنعكس على ملابسهم وتهديداتهم.

يبرز التحيز أيضاً في جملة "أصل الزرقاوي من الأردن"،. في كلمة الأردن إشارة واضحة أن العرب والمسلمين مرابيا وانعكاسات لبعضهم، فبن لادن من أصل سعودي، والزرقاوي أردني الأصل، فهذه الأصول ككل مجبولة من نفس الطين والثقافة، الدين واحد والرب واحد والعدو واحد لا اختلاف فيه، ومن شأن هذا أن يزرع الخوف والرعب في المشاهد الغربي من العرب كلهم، كذلك استعطف المشاهد العربي غير المدرك لحقائق الأمور وأصلها.

وإلى جانب ذلك ترى الباحثة أن مشهد الزرقاوي ذي الأصل الأردني وطريقة قتله للرهينة الأمريكي، تمثل موقف العرب والمسلمين كشعوب من الشعب الأمريكي وإدارته ومدى حقدهم عليهم، وهذا تعبير مجازي عن الصدام العميق بين الحضارتين (العرب المسلمين وأمريكا الغرب).

فكرة وصف أمة كاملة بالرجعية والتعطش للدماء من شأنه أن يُغذي ثقافة الكراهية والحقْد، وبالتالي يتحول الممثلون والسيناريو إلى أبواق زاعقة وظيفتها ترويج فكرة المُخرج والكاتب المثقلة بالأيدولوجية الصهيونية الماكرة.

أما جملة "فقد تلقوا أفضل التدريبات ويتفاضون الكثير". تؤكد الباحثة أن دور التحيز ضد المسلمين يكمن في تغيير مفهوم الجهاد في سبيل الله، إلى جهاد في سبيل المال، أي أن هذه الجماعات عبارة عن شرذمة مرتزقة لا يقاتلون لأجل مبدأ أو قضية عظيمة، بل لأجل سفك الدماء البريئة كدماء الجندي الرهينة، وجمع المال ممن يدعمونهم كأمثال بن لادن وغيره.

وفيما يخص مشهد جز عنق الرهينة الأمريكي تجد الباحثة أنه لم يكن أسوأ من مشهد اقتحام العراق وتجريفه وتخريب ممتلكاته، لم يكن أسوأ من قتل الرجال وترميل النساء وتيتيم الأطفال أو حرمانهم من والديهم، لم يكن أكثر ضراوة من التتكيل بالأسرى وتعذيبهم، لم يكن أشد خطورة من مصادرة آثار المتاحف وتبديد تاريخ حضارة بلا الرافدين التي تصل إلى ما قبل الميلاد.

المشهد: يقول القناص لصديقه الجندي: "أنا فقط أريد أن أقضي على الأشرار."

الأشرار لفضة فيها تحيز لغوي صريح لأمة كاملة أو لنقل شعب برمته، ولكن لو كان المشاهد يقرأ لوجد أن الأشرار الحقيقيين هم من قاموا بالإغارة والهجوم، وأما مواطنو الدولة التي أعلن الحرب عليها فكان واجباً عليهم الدفاع عن وطنهم وأنفسهم، فهل أيقن المشاهد هذا؟

المشهد: جندي من قوات السيل يُخبر القناص: "مصطفى القناص التابع لجيش القاعدة ليس عراقياً، إنه من سوريا".

هذا المشهد مُكرراً ويمرر فكرة خطاب الكراهية والعنصرية ضد العرب، فالمقاتلون ليسوا عراقيين فقط بل من أنحاء الدول العربية، يتشاركون مع العراقي في حربه ضد الأمريكيين ويلحقون بهم الأذى، فالفكرة في الفيلم جاءت أن الأمريكي مظلوم وحده من يخوض غمار هذا الحرب ضد العراقي والأردني

والسوري واللبناني وغيرهم من العرب والمسلمين، والغريب بعض الشيء أن الولايات المتحدة تكره وجود أفراد من شعوب عربية أخرى يشاركون أختهم العراقيين الحرب، وهم أفراد أو جماعات قليلة ولكنهم ليسوا جيوشاً كبيرة وعتادهم ليس عظيمًا كما قوات التحالف التي كانت تساند الولايات المتحدة من بريطانيا وأستراليا، فإن تأثير هؤلاء الأفراد أو الجماعات يصب في مصلحة المخرجين ليتسنى لهم عمل فيلمٍ فيه تحيزات ضد العرب والمسلمين وبنال جوائز عديدة.

المشهد: صورة اقتحام الجنود بقيادة القناص لمنزلٍ فيه رجلٌ كبيرٌ في السن يُدعى الشيخ، يرتدي دشدشاً أبيض غير ناصع عليه جاكيت لونه بني، وسروالٌ أبيض، وقبعة بيضاء تغطي الرأس بلا الأذنين، بشرته سوداء، حاجبيه كثيفان بلونٍ أسود، شارب أسود مع لحية متصلة معه يغزوها الشيب، يرتدي خاتمًا في خنصر يده الأيمن.

باب المنزل مزخرف بالحديد باللون الأزرق، تفاصيل المنزل فيها زخرفة نباتية على الجدران، برفقة هذا الشيخ طفل في العاشرة من عمره أيضًا بشرته سمراء وشعره أجعد أسود. اقتحام الجنود للمنزل بشكل يثير الذعر، يمسك الجنود بالطفل فيرتبك، يأتي الشيخ مسرعًا: "اتركوه، لا يفهم لغتكم، أنا الشيخ العبيدي".

الجنود يتركون الطفل، ويقول قائدهم: "شيخ من؟ من أنت بحق الجحيم؟"

يرد الشيخ: "أنتم ضيوفي، ادخلوا واجلسوا".

يرد أحد الجنود: "هذا الحاج يريدنا كلنا هنا في الداخل؛ لكي يفجرنا كلنا اذهبوا فنتشوا مؤخرته للبحث عن سترة ناسفة".

يتحدث الجنود مع الشيخ في غرفة الجلوس، يقول الشيخ: "الجزار (أو القصاب مع اختلاف الترجمة) ما عنده رحمة، ابن إبليس، الرجل الأول لدى الزرقاوي".

القناص: " هل لديك معلومات عن الزرقاوي؟ أخبرنا الآن."

الشيخ: " تلقى الجزار، تجد الزرقاوي."

القناص: " وكيف نعثر عليه؟"

الشيخ متردد: " الخطر كبيرٌ علينا، وأريد أموالاً 100.000 دولار."

القناص: " تريد 100.000 دولار؟ لا دليلٍ معي على وجوده !"

الشيخ ينادي: " فاطمة!" تأتي وتجلس بجانب الشيخ ويكشف عن ساعدها فإذا هو مبتورٌ، وقال: " هذا الدليل."

القناص: " أود مساعدتكم فعلاً، ولكن أحتاج لأرقام هواتف عناوين أسماء، أحتاج إلى معلومة وباستطاعتي مساعدتك وسنضمن سلامتك أعدك بهذا."

الشيخ مع نبرة خوف: " أمير خلف فانوس، هذا اسم الجزار الحقيقي."

جاء المشهد ليوضح شخصية الشيخ في السينما التي غالباً ما تأتي بصورة الرجل راجح العقل ولكنه أحمقٌ طماعٌ، يحاول الترحيب وإظهار كرم الضيافة مع جنودٍ جاءوا ليخلصوا على روحه وأهل بيته أو التحقيق معه وإجباره على تقديم معلومات سرية.

ولا سيما أن كلمة شيخ تعني على مدار العصور الشخص العجوز المتصف بالحكمة والنباهة، لكن صنّاع الأفلام الأمريكية عموماً يربطون هذه الكلمة بمعانٍ مختلفة كلياً، فيقدمونه ببشرةٍ داكنة يهز هز حواجبه، يلهث وراء النساء، يستمد ثراهه على حساب الأمريكيين مقابل معروف يقدمه لهم، ويميل للكسل وابتعد عن العمل (شاهين، 2013، صفحة 45).

فها هو الشيخ العبيدي صاحب العيون الكبيرة السوداء المُحدِّق في الأشخاص والأشياء، والذي تظهر عليه علامات التردد والارتباك بثوبه الأبيض، جاء في الفيلم وكأنّ تفاصيل بيته توحى بأنه رجلٌ ثريّ نوعاً ما، وهذا يظهر في الزخرفة النباتية كالفسيفساء على جدران البيت وأثاثه الأنيق المزخرف، وتبدو جليةً صورة الأباجرة الزاهية المضيئة المركونة على المنضدة بجانب الباب، والثريا المعلقة في السقف عند الدخول، حتى شكل الباب الخارجي مختلف عن بقية الأبواب الأخرى مُزوق بالإنحناءات والألوان البهية، صورة جمال في صحراء قاحلة معلقة على الحائط في إشارة واضحة لحضارة العربي المسلم، صورة بندقية كبيرة قد تكون تحفة معلقة على واجهة غرفة المعيشة فترمز إلى طبيعة الشخصية العربية التي تميل إلى القتل والعنف، فالسلاح أكبر دليل على ذلك.

كان الشيخ مُسالماً بطريقة أقرب للسخرية، عندما قال لهم: "أنتم ضيوفي" وهم اقتحموا المكان أساساً ولم يدقوا الباب! كذلك يقول أحد الجنود أنه يريدنا كلنا ليفجرّ فينا عبوة ناسفة بتهمك واستهزاء على تفكير الشيخ.

ويبدو أنه يمتلك ثلاث نساءٍ فالتعدد من عادات الشيوخ، كونهم مُحبين للنساء ويميلون إلى كثرة النسل، كذلك لا يمتلكون مهنةً إلّا الجلوس والحديث والذهاب إلى المساجد وحل الخلافات وبالتالي غير مرتبطين بمهنة ولا يتعبون في الحصول على لقمة العيش.

نلتفت إلى تحقيق القناص في بيت الشيخ مع الشيخ، لقد كان رحيماً يأخذ ويعطي معه، فلا يُرهبه أو يهدده، بل بالعكس من ذلك حينما قال: "أريد أن أساعدك فعلاً، وباستطاعتي مساعدتك وسنضمن سلامتك أعدك بذلك."، هنا تحيزٌ لصالح الغربي الإنسان قبل أي شيء، فالمُشاهد يرى معاملة القناص اللطيفة وينسى أنه قام بالإعتداء على حرمة بيتٍ كامل فدخله ومجموعة جنود أثاروا هلع ساكنيه، وعاثوا فيه دماراً وهم يفتشونه دون أي مقدمات.

وتجد الباحثة أنّ مشهد الشيخ عندما طلب مبلغًا ضخماً مقارنةً بالمعلومة التي قدمها وهي الكشف عن اسم الجزار الحقيقي، ما هي إلا طمعٌ وتصديقٌ لما أجمعت عليه هوليوود بأنّ الشيوخ يستمدون غناهم وأموالهم على حساب الأمريكيين، مستغلين حاجتهم الماسّة في الحصول على معلومة مهمة أو تنفيذ مخطط مشبوه، وبهذه المشاهد ينقض الفيلم الأمريكي ركنًا مهمًا عند العرب والمسلمين ويزعزع ثقة الناس بتعاليم دينهم وعاداتهم القائمة على تقدير كبار السن والشيوخ الذين هم بركة المجتمعات واتزانها. فالمُشاهد العربي يتشتت ويعيد النظر في تعاليم الدين والعادات ويحاول نقدها وإطلاق الأحكام عليها، وسيصبح أكثر حذرًا وأقرب للاشمئزاز من شخصية الشيخ المناقفة، كما جاءت في الفيلم، وغيره من أفلام هوليوود التي عملت بكل جدية على جعل صور العرب والمسلمين أكثر نمطية من اليوم السابق في كل مرة.

المشهد: يفتش الجنود المنزل، أحدهم: "وجدت هؤلاء العاهرات في الخلف."

وهنّ ثلاث نساء يرتدين عباة طويلة مختلفة الألوان، اثنتان منهنّ سمران يضعن غطاء الرأس (الحجاب)، والثالثة بشرتها بيضاء جسمها ممتلئ غطاء رأسها متدلٍ؛ لأن يدها مبتورة لا تستطيع ترتيبه وهي فاطمة في المشهد السابق، وتتوقع الباحثة أنّهنّ يكنّ زوجات الشيخ الثلاثة.

إنّ التحيز اللغويّ واضحٌ في كلمة العاهرات التي أطلقها الجندي على النسوة، وهي من الفعل عَهَرَ بمعنى الزنا والفجور (ابن منظور، 2003، مادة عهر)، فصفة الفجور والزنا ألصقت بهؤلاء العفيفات؛ لأنهنّ مُحجباتٌ لا أكثر، والأكيد أنّ الجنود لا يعرفوهنّ من قبل، حتى صورة النساء كأنهنّ متعرضاتٌ للظلم والإهانة، غير معزّزاتٍ ولا مرتاحات، لهم يأكل من أعمارهن والشقاء يخيم حياتهن.

ولا سيما أنّ المشهد يعرض صورة المطبخ في منزل الشيخ، ففيه أواني الطبخ معروضةً على رفوف خشبية مكشوفة، لا خزائن مغلقة بل فتحات على هيئة خزائن، الصحن مكومة على المجلى، شباك

صغير من دفتين، ستارة من الخرز تفصل المطبخ عن غرفة الجلوس، وهذا الوصف لمنزل الشيخ الثري نوعاً ما.

وترى الباحثة أن التحيزات تصنع عند المشاهد مقارنةً لا شعورية، فيُقارن بين ثقافة المرأة الأمريكية الغربية الجميلة المهتمة بنفسها وبعائلتها، فهي امرأة مُرفهة مُرتاحة متفاهمة مُحبة تفيض بالحنان مع زوجها وأبنائها وهذا يظهر في المشاهد السابقة لعائلة القناص وهو صغير، وبين المرأة العربية المهمومة غير الجميلة التي تنتسب بلباسٍ ثقيل متعصبة متشددة بتفكيرها متزمتة بأفعالها وهذا يظهر في المشاهد التي عُرضت فيها النساء العراقيات، وينسى المشاهد الأم العربية صاحبة الفضل في التربية المُضحية رغم الظروف الصعبة الصامدة في وجه وعثاء الحظ والدينا، توهب عمرها لعائلتها ولأبنائها مذ نعومة أظفارهم وحتى المشيب، ولا ينتهي اهتمامها بهم عند عمرٍ محدد.

كذلك فإن عرض صور المنزل والمطبخ يجعل المشاهد الفاحص يجري مفارقةً بين أسلوب العيش الأمريكي الغربي المليء بالتحضر والرقي والإتيكيت، الممزوج بالنظام والرتابة فهو يمثل تزواج المادة مع الروح، وبين أسلوب العيش عند العرب المسلمين وإن كانوا أثرياءً فالفوضى وقلة التنظيم تعتري أسلوبهم، فلا أناقة ولا رتابة ولا رقي، فالجمال شبه مفقود، وبشكلٍ عام أسلوبٌ قاتمٌ تتشابك فيه المخيلة بالتاريخ ممل بكل تفاصيله.

هكذا السينما الأمريكية تصنع التحيزات؛ لتصنع منها حياةً وهميةً أخرى للمشاهد العربي مكلفةً بضعف الثقة بحضارته، وتصنع غروراً منقطع النظر للمشاهد الغربي بأنه أساس الثقافة وصانعها.

المشهد: أحد الجنود يحدث صديقه الجندي: "تدرك أن الجزائر مُنفذ الزرقاوي، يقولون أن سلاحه المفضل هو متقالب لعين."

إن لقب الجزائر واختيار هذه الكنية دون غيرها له دلائل وفيه تحيزات، فالكلمة من أصل جزر الشيء بجزره ويجزره جزراً وهي بمعنى القطع والجذ والنحر (ابن منظور، 2003، مادة جَزَرَ)، ولا سيما أن

صدى هذه الكلمات مُخيف ويُوحى بالرعب ويُخيل للمستمع وجود ذبيحة ودماء وتقطيع أي بالمُجمل عنف وقتل، وهذا ما جعل الكاتب أو الفيلم السينمائي يضع مثل هذا اللقب الدموي المُشير لرجل مُقاوم مُدافع عن وطنه لكي يظهر بصورة السّفاح فتنشوه صورته بحيث يرغب المُشاهد قبل الجيش الأمريكي في التخلص منه.

ويقول الشيخ: "إنه ابن إبليس" وفيه إشارة واضحة لمدى خبثه ومكره، فهو لا يُرهب الجيش الأمريكي فقط؛ بل يُرهب أهل بلده وكل من حوله فيُشكل بؤرة فساد هو ومن معه.

هنا يظهر دور السينما الأمريكية في خلق تحيز ضد العرب والمسلمين والتركيز على أفكارهم الإجرامية المتمثلة في القتل والترهيب والتقطيع فالإنسان بين يدي هؤلاء يُصبح كالأنعام يُنحر أو يُقطع جزء من جسمه.

ترى الباحثة أنّ تعزيز مثل هذه الصور في السينما هو محاولة لإثبات الرواية الأمريكية وإقرار صدقها، وأن هذه التحيزات لا تأتي قصداً للتقليل من شأن العرب والمسلمين وإنما هذه حقيقة الأشياء، هكذا يُراد للمُشاهد أن يستنتج وهكذا يُروجون للأفلام على أساس أنها حقيقة غير قابلة للتفنيد، وهذا بالطبع يقع ضمن التحيز والتعصب مع عيونٍ مُغلقة لا تريد مكاناً للحقيقة، ويقع هذا في إطار الخطاب الذي تنتهجه آلة صناعة الثقافة الأمريكية بشكل ممنهج دقيق.

المشهد: الجزائر يرتدي معطفاً أسود، طويل القامة، عيناه سوداوان كبيرتان، غاضب وكأنّ النار تتطاير منهما، بشرته سوداء يربط على رأسه كوفية سوداء، جزمة سوداء متوسطة الطول، ملتج بلحية خفيفة وشارب أسود مرتبط بها، يمسك ابن الشيخ ذي السبعة أعوام من طرف قميصه بشدةٍ وعنّف، يجره على الأرض حاملاً المتقاب باليد الأخرى ويصرّخ على الأب (الشيخ): "تكلّمت معاهم"، يتقب رجل الطفل من الفخذ ودمه يتناثر، الشيخ يحاول إنقاذ ابنه ويصرّخ فيطلق مرافقو الجزائر النار عليه ويسقط قتيلًا، النساء يولولن، يغادر الجزائر ورجاله المسلحون في سيارة مفتوحة من الخلف.

تبدو الصورة النمطية للعربي واضحةً أكثر مما تبدو عليه، فالبشرة السمراء تتوافق مع جميع الشخصيات العربية المسلمة في الفيلم، والنظرة الحادة والغضب من طباعها الرئيسية.

وكان لا بد من شخصية الجزائر أن تكون هكذا بمعطفٍ طويلٍ وجزمة مع لفةٍ على الرأس لتبدو شخصيةً جادةً وأكثر رهبةً، تُقدم للمُشاهد وكأنها تُتذر بالشؤم والمصيبة، يظهر هذا في صورته لجر الطفل بلا رحمة وتشغيل المتقاب أمام أعينه وأهله، مما يسبب له أذىً جسديًا ونفسيًا.

وترى الباحثة أن شخصية الجزائر في الفيلم مع أداته الحادة التي تُستعمل في تقب الأشياء وبترها (فهى ليست ببندقية ولا كلاشينكوف لقد كانت مثقابًا!) وهنا يكمن إظهار عنف الشخصية وعدائيتها في تعذيب ضحيتها من خلال سفك الدماء البريئة المتمثلة بدماء الطفل الصغير الذي لا ذنب له سوى أن الشيخ والده، فقلبه أسود مليء بالحق والهمجية، وبالتأكيد هذه الصورة الشريرة للعربي المسلم التي عملَ الفيلم على إبرازها؛ بل والترويج لها على أساس أنها إحدى طبائعهم المتأصلة وهو ما يُسمى "بتعريب الإرهاب وأسلمته واعتباره جزءًا من أمرٍ واقع تفرضه حرية الصحافة والإعلام الغربية" (حديدي، 2015، صفحة 51).

المشهد: القناص كايل يرجع إلى بلده الولايات المتحدة الأمريكية، يُشاهد على تلفاز منزله مقاطع من فيديو صورها القناص مصطفى في الفلوجة وهو يقتص على الجنود الأمريكيين وينال منهم. يصفهم القناص كايل لزوجته ويقول: "إنهم وحوش لعينة".

تجد الباحثة أن كلمة وحوش لعينة التي يرميها القناص كايل على العراقيين بشكل خاص وعلى العرب المسلمين بشكل عام هي تحيزٌ أبلجٌ لا ريب فيه، وترى الباحثة قهر القناص كايل أثناء مشاهدته للفيديو الذي يُبين ضعف أصدقائه، يدل على أن الأمريكيين ليسوا ممن يُسحقون بل هم من يسحق الآخريين دائمًا.

إنّ فالمشهد يبين براءة الجندي الأمريكي المُدجج بالسلاح في أرضٍ غير أرضه مُعلنًا فيها الحرب، فالثقافة العالمية تفرض (من خلال القوة الناعمة) على المُشاهد أن الأمريكي دائماً ما يكون موضع الاستهداف وليس العكس، مُقابل المُجاهد العراقي الذي يُدافع عن حماه وشعبه في عقر داره، وهذا ما يُسمى بالاختراق السياسي والثقافي للسينما الأمريكية، وتحول السينما لرسائل سياسية مُبطنة تُعين الإدارة الأمريكية في تحقيق مآربها.

المشهد: يقول قائد العمليات للقناص كايل: ” أريدك أن تُذكر هؤلاء الوحوش بعذاب الله.“ ويقصد جيش القاعدة، ”فلتجد ذلك اللعين.“ ويقصد الجزائر.

إنّ الحملات الصليبية قديماً على بلاد المسلمين لم تتوقف وهلة، فحروب عصرنا الحديث هي حروبٌ صليبية بنمطٍ حديثي، بين الديانة المسيحية والديانة الإسلامية وكلٌ له قناعاته ومبادئه التي يعتقها وعلى أساسها يرى الأشياء ويتصرف.

تتفق الباحثة أن الأمريكي في هذا المشهد يبعث للمُشاهد رسالة يُرر فيها حربته ضد الوحوش (المسلمين) بأنها دينية قبل أي شيء، ويبرز تحيزه ضد الدين الإسلامي، فيظهر على أنه (الأمريكي المسيحي) موجودٌ ليوجّه البشرية ويقودها نحو العالمية، أمّا المسلم المتوحش الهمجي فلا يعرف عن خالقه شيئاً ولا يأبه بعذابه، والحقيقة التي على المُشاهد العربي والإسلامي إدراكها أن الإسلام مصدر رعب للغرب عامة فهم يؤيدون القومية العربية العلمانية ويعترفون بها مقابل ألا تكون هناك قومية عربية إسلامية (كشك، 1966، صفحة 8)؛ لأن ذلك يعني تقويض الفكر والثقافة الغربية ومحو تعاليمها المؤقتة ليحل محلها منهج جديرٌ بالتقدير والتطبيق ألا وهو المنهج الإسلامي.

المشهد: يتحدث القناص كايل مع جندي من قوات المارينز، ويقول له: ” هل تريد أن تتراح وتترك هذه المهمة؟“

الجندي: ” أنا فقط أريدُ أن أؤمن بما نفعه هنا.“ يقصد العراق.

القناص: "حسنًا، يوجد شر هنا وقد رأيناه".

الجندي: "طبعًا، فهناك شر في كل مكان".

يُجيب القناص: "أتريد من هؤلاء الأنجاس أن يأتوا إلى سان دييغو أو نيويورك؟ نحن لا نحمي هذه القذارة وحسب".

الجندي: "حسنًا! فلنقتل ذلك الداعر".

في الواقع هذا المشهد مصنوعٌ بدهاءٍ حاد؛ ذلك أنه مُوجه لكل مُشاهد يتساءل لماذا فرض الأمريكيون حربًا على العراق؟، هنا يُحاول الفيلم جذب المُشاهد ليعرف حقيقة الإجابة. ومن الضروري بمكان أن يتم تزييف التاريخ والحقائق وهي وسيلة للتغلب على المخاوف المرضية؛ ليبدو الأمر وكأننا حينما نهجم وندمر الآخرين فنحن نعمل ذلك للدفاع عن أنفسنا ضد المعتدين والوحوش، أو للدفاع عن الفئة المُستضعفة الموجودة كخوض الولايات المتحدة حربًا على جنوب فيتنام وبررت ذلك بأنها تُدافع عن جنوب فيتنام ضد الفيتناميين الجنوبيين (تشموسكي، 2003، صفحة 19).

فالباحثة تقتنع بأن الأمريكيين أصحاب فكرة وجود حضارة عالمية وباسمها يُدمرون ويهدمون ويقوضون ما لا يناسبهم ويشيّدون ويعمّرون ما يناسب ثقافة العالمية تلك التي صنعوها لتوهيم البشرية وتوهين العقائد التي تُعيبهم، مع منع أي حشد إسلامي يتضارب ورؤيتهم.

فلو ركز المُشاهد على لغة الخطاب العنصري في المشهد وحده، للاحظ كلمات مثل: شر، الأنجاس، القذارة، الداعر، فكلها جاءت لتصف العربي المسلم، فمدى التحيز الكامن في صدور هؤلاء وغلّهم لم يحتفظوا به؛ بل نشره وجعلوا منه سيناريو وعرضوه على شاشات التلفزة والسينما، جاعلين من هذا الشعور المُقيت تجاه العرب المسلمين شعورًا عالميًا رائجًا؛ بحيث نجحوا في جذب (العربي المسلم) لأسواقهم العالمية والاستهلاك، فأرّوا من صومعة ثقافته الإسلامية مُتطلعًا نحو النظام العالمي.

المشهد: يقتحم القناص كاييل وقوات المارينز بيتاً فيه رجل وامرأة وطفل في السابعة من عمره، يهجمون على الرجل ويفتشونه، صورة الرجل بشرته حنطية سوداء، ملتحح بلحية سوداء ممتدة مع شارب، يرتدي قميصاً مخططاً في الثلاثينيات من عمره يبدو مُسالماً هادئاً، زوجته مكحلة العينين بشرتها حنطية ترتدي وشاحاً على رأسها تجلسُ على كرسي بجانب زوجها على رأس طاولة الطعام نظراتها مُربية وكأنها تُخبئ سرّاً، ابنها يرتدي كأبيه قميصاً مُخططاً ولكن بألوان مختلفة بشرته حنطية وشعره أسود يُغطي رقبته، يجلس على الكرسي من الجهة اليمنى لطاولة الطعام القريبة من أبيه، يشربون مشروباً ساخناً أصفر قد يكون البابونج، صحن مُجور فيه بضع حبات من الليمون في وسط الطاولة البلاستيكية، كرسي الأب وابنه من الجلد مهترئان نوعاً ما، صورة لمبة كبيرة الحجم تقريباً مثبتة على السقف يليها سلك كهربائي مُمدد، لمبات مثبتة على الحائط، في دلالة على يُسر الحال مع أنّ الإضاءة خافتة نوعاً ما، طلاء البيت قديم، ستائر على النوافذ مزخرفة ولكنها توهي بالقدم، صورة فوتوغرافية لها إطار مُعلّقة على الجدار فيها جذع شجرة ضخمة يملأ الجانب الأيمن في الصورة، رجل وحيد أمامه شط بحر كبير، وكأن الرجل مشنت أو تائه تماماً كصاحب المنزل الذي سنكتشف فيما بعد عن هيئته، صورة لمكتبة فيها كتب، مطبخ فيه شيء من الفوضى والعلب والصناديق، مفارش وأغطية على الأرض بدلاً من الكنب..، يعرض الجنود الأمريكيون صورة الجزر على العائلة الأب والابن فقط ويُجيبان بأنهما لا يعرفانه.

وفي خضمّ التحيزات تتعمد السينما الأمريكية إظهار الثقافة العربية بأدق تفاصيلها من تصميم البيوت إلى الأثاث والطعام وأسلوب المعيشة ككل، فالبيت في هذا المشهد بسيط جداً، ينم عن مستوى معيشي متوسط، فلا غرفة جلوسٍ ولا تلفاز يُشاهدون عليه الأخبار أو أي حدث آخر وقد يدل هذا المشهد على ضالة مستواهم ووعيهم الثقافي، وهم فعلاً بحاجة لمن يدلهم على طريق الخلاص من هذه الرجعية والتخلف التي يعانون منها، وأما بشأن الكتب المتكدسة فقد تكون إشارة إلى تأثر الرجل بفكر معين وأنه يستقي الثقافة من أحدهم بشكلٍ أعوج، وخياراً آخر أنّ هذا المشهد في بدايته حمل رسالة للمُشاهد أنّ

الرجل وعائلته مُسلمين لطفاء، وليس كل ما هو عربي مسلم يكون صورةً مطابقةً للجزار وأمثاله، وبهذا المشهد والسيناريوهات اللاحقة يقع المشاهد في فخ السينما الأمريكية ومقاصدها وهذا ما تتوقعه الباحثة من صنع المشهد.

وتجد الباحثة مفارقةً عظيمةً يكاد يتلمسها المشاهد والمتفحص لمشاهد الفيلم، فمثلاً بيت القناص مذ نعومة أظفاره إلى بيته عندما كُبر وتزوج وأنجب الأطفال فكلاهما يحمل الأناقة والرقي والحضارة بأبهى صورها، يحملان نموذجاً عالمياً جديداً في التصميم يتم طرحه على هيئة مشاهد ثانوية تتهادى إلى رؤية المشاهد تلمس قلبه وتخطف بصره فتتجلى في لا وعيه وتتمدد إلى اللاشعور فيتخذ منها نموذجاً مثاليّاً ويتحول إلى مقلدٍ لها، و أما الطرف الآخر فالبيوت بسيطة جداً تتكون من غرفة معيشة مقاعد وكنب مُزخرفة وقد تكون عبارة عن مفارش أرضية قديمة وبُسُط، فليس فيها أدنى مقومات النظام والرقيّ مع أن بعض المشاهد لعائلات مُقتدرة فمثل هذه المشاهد تحمل تحيزات حساسة ضد العرب والمسلمين مفادها ملاحظة أسلوب المعيشة المتدني والثقافة السائدة التي تتم عن عدم اتزان والتي يجب محورها ومعالجتها بتبني التبعية العمياء واللاحق بالثقافة الأمريكية القدوة.

هناك تلميحٌ مهم في مشهد عرض صورة الجزار على العائلة، فالجندي عرضها على الأب والابن فقط ولم يعرضها على المرأة مع أن المرأة من نظراتها المتسارعة الحادة كأنها تحتفظ بشيء ما، ومع هذا لم يسألها الجندي القناص (الذي يمثل الكل الأمريكي) ولم يستجوبها أساساً، وهنا لفتةً أراد بها الفيلم إثارة إعجاب المشاهد بالإنسان الأمريكي وقيمه العالية مع الجنس اللطيف، ليس فقط في هذا المشهد بل في مشاهد سابقة أيضاً كمشهد المرأة التي اعترضت على قتل زوجها، لأنه كان يحمل قرآنًا، حتى مشهد المرأة التي تحمل قنبلةً مع ابنها تردد كثيراً في قنصها و لولا أنه اكتشف أنها إرهابية لما قتلها، ومشاهده في التعامل مع زوجته قبل أن تصبح زوجته وبعد أن أصبحت زوجته صبر على تذررها اللامحدود وتقبل فكرة خوفها عليه..ودواليك.

وتتعجب الباحثة من المثالية التي يدعيها الغرب في حق المرأة! فالمرأة عندهم كائن مادي مُستغل لأقصى حد، للعمل، للذة، للجنس، لل جذب، تجد المرأة في الغرب كادحة تعمل ليلاً نهاراً ترهق نفسها الناعمة بأعمالٍ تفوق قدراتها في كل مجالات الحياة، تجدها واجهة إعلانية وتسويقية لكل مُنتج أو سلعة أو فكرة فهي أسرة تأسر الرجل بطريقتها وإغرائها له في الشيء المُعلن، تجدها هي من تسعى لتؤسس عائلة وتطلب من الرجل ذلك والكثير منهم يعاملونها كالفريسة السهلة وعند الانتهاء من العلاقة الجنسية يتركها الرجل ويبحث عن أخرى، لتتخذ هي قراراً هل ستجرب طفلاً وتتحمل المسؤولية وحدها، أم سترمي بعاطفة الأمومة إلى وادٍ سحيق وتفوز رشاققتها في الرهان (علمنة الجسد)! ناهيك عن البغاء والظلم الذي يُمارس بحقهن، وبسبب هذا كله ظهرت الجمعيات النسوية العالمية لتدعم المرأة الغربية المُنتهكة حقوقها، فبدلاً من مُساندتها والتأكيد على حقوقها المشروعة بالغت جداً حتى حملت كل مظاهر التطرف والمغالاة، "والغريب أنّ هذا الذي بعثه وأحياه التنوير الوضعي المادي الغربي - في اللذة والإباحية - هو الذي رأيناه ونراه عند النزعة الأنثوية المتطرفة التي صعّدت موجتها المجنونة مع ما بعد الحداثة، منذ ستينيات القرن العشرين" (عمارة ، 2009، صفحة 50). فشتان بين المرأة المسلمة التي كفل حقوقها الشرع الإسلامي والعدل الإلهي، وعرف مهمتها الأولى فكرّمها وأعلى من قدرها، كالدرّة المكنونة لا ينالها إلّا ذو حظٍ عظيم، ومهمة الرجل الأولى إسعادها والإحسان إليها، فهي الأم والأخت والابنة والزوجة، نصف المجتمع ومنبع الأمان وتحت أقدامها الجنان.

وهذا يجعلنا نتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ صورة العالم التي تُقدّم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة أي شيء في غالب الأمر ما يتم دفنها طبقة وراء طبقة وتغليف كل منها بالأكاذيب المُرصّعة وتقديمها على صينية الدسائس والاتهامات المزوّرة، وقد حقق هذا نجاحاً أسطورياً (تشومسكي، 2003، صفحة 20).

المشهد: في المساء يقول الرجل للجنود: "أنتم مدعوّن على عشاء عيد الأضحى على طاولتي وكل جندي له كرسي".

جندي من بين الجنود: " هذا كرمٌ منه".

يجلسُ الجنودُ والأبُ وابنه على نفس الطاولة جميعًا، يعلوها سدرٌ كبيرٌ مليءٌ بالأرز يتوسطه رأسُ ضأنٍ مشويٍّ ومطهوٌ جيدًا، صحنون فيها لحمٌ كثيرٌ، مقبلات كالزيتون المُخلل، خيار وطماطم، وليمون، كؤوسٌ مُعبأةٌ بمشروب غازي، شوك تتلاطم مع الطعام، يبتسم الجنود ويشعرون بالراحة والاطمئنان في منزل الرجل، تملو ضحكاتهم وهم يتجادبون أطراف الحديث الفُكاهي، وكأنهم يقدرّون كرم ضيافته، الرجل مشغولٌ بابنه يرددون بعض الشعارات فيما بينهم دون وضوح على نفس الطاولة، بحركة عفوية تظهر أكواع الرجل حمراء بشكلٍ لافت، يُلاحظ القناص شديد الذكاء فتساوره الشكوك، يُنهي طعامه ويقوم ليغتسل فيمشي في المنزل ويجد مقصورة أو حجرة فيها سريرٌ حديدي متوسط الحجم، آلة العود الموسيقية فوق منضدة الزينة الفارغة إلّا من بضع مقتنيات غير واضحة، خزانة فوقها مفارش مُزخرفة وصندوق مزخرف بحث فيها الجندي لكنها فارغة، فتح الخزانة وجد بابها مليئًا بصور مُعلقة للرجل وعائلته، فنّس الجندي الخزانة بشكلٍ سريع، شعر باللا جدوى، سرعان ما أراد الخروج من الغرفة فإذا به يشعر بالوقوف على شيءٍ غريب، بُسُطٌ وسجاد كثير بدأ برفعها بعضها عن بعض ورفع السرير الحديدي بقوة، فيجد رُفعة من الحديد وكأنها غطاء لحفرة، رفعها وهنا المُصيبة وجدها معبئة بالذخيرة والسلاح الكثير، فالرجل يخبئ أسلحته وأسلحة مجموعته داخل منزله وفي غرفة نومه، لم تعد صورة الرجل المُسالِم الذي أُوهم الفيلم مشاهديه فيها، لقد كان فخا بالنسبة للمُشاهد أن يتحول الرجل والذي يبدو وديعًا هادئًا، إلى إرهابي مرةً واحدة يُخزّن السلاح ويحتفظ به، فلم تشفع له ملامحهُ ولا كرم ضيافته، راح القناص يجرّ الرجل بقوة وينظر إلى الأسلحة الكثيرة، ويقول له: "أتري ذلك أيها المُجاهد؟". ووراءه الجنود مُتعبجون، يرددون: "ماذا يحدث؟".

يتطرق الفيلم لأهم عادة من عادات العرب وتقاليدهم كرم الضيافة والطعام الكثير، فرأس الضأن على صنية الأرز، والمقبلات والمشروبات، وغيرها..، فربط الفيلم بينها وبين صفات الرجل الشرقي كما

جاءت في الفيلم، كريم ومضيف مع نكهة السخرية، فكيف تكون كريماً مع من اقتحموا منزلك وهم بمثابة الأعداء لك وبلدك؟ (أي بمعنى أنه كرم ليس بمحلّه أو أنهم سُدّج لا يُميزون العدو من الصديق).

تكتشفُ الباحثة عن مشهد اجتماع الجنود وجلسهم مع الرجل وابنه ومُشاركتهم الطعام، بأنّه يروج لفكرة الحوار مع الحضارات وتجربة الثقافات الأخرى، فطاولة الطعام عربية لكن الرجل أحضر الشوك تماشيًا مع عادات الغرب وأسلوبهم في تناول الطعام، وقد كانوا في قمة الارتياح إلى أن قام القناص واكتشف الأسلحة التي عنده، وهذا دليلٌ قاطع على أن الغرب الأمريكي غالبًا ما يمد يده للعوالم العربية الإسلامية ويحاول التحدث معها، إلى أن الأخيرة ترسم خطاً للنيل من الوجود الأمريكي الغربي والقضاء عليه، وهذا تحيزٌ واضح وعواقبه غير محمودة.

فالمشهد ينكر إمكانية التمازج الثقافي والتهجين الحضاري؛ لأن الدين الهمجي والثقافة البدائية من شأنهما إفساد وتلوّث المجتمع الأمريكي، والخلص الوحيد يتأتى بالتخلص من العرب وأسلمتهم (جوهر محمد، 2016، صفحة 27).

إنّ تسلسل الأحداث في الفيلم وبالأخص في هذا المشهد كان مُسالماً وعائلته متقبلين للآخر، بحيث جعل المشاهد يحاور نفسه أنه وأخيراً عائلة لا تحمل حقداً ولا شراً للأمريكي، ولكن الغريب بتسلسل المشاهد يكتشف المشاهد أنّ مجرد التفكير بأن هذه الجماعات (العربية الإسلامية) مُسالمة هو ضرب من المستحيل، فالتحيز لم يقتصر على الثقافة واللغة؛ بل تجاوز ذلك إلى النفسية، وهنا رسالة مفادها الإجماع أي لا يغرّتك شكل العربي المسلم وتعامله اللطيف فكينونته تنبض بالعداء تجاهك فلا مجال للتحاور أو التعارف، فنسق التعصب والأصولية جزء من الأنساق الفكرية الحديثة.

”أترى ذلك أيّها المُجاهد؟“ يقولها الجندي الأمريكي للرجل ويكأنه كشف حقيقة أمره، وكلمة المُجاهد صورة لكلمة الإرهابي المُخرّب الشرير، فالدين الإسلامي أوجب الجهاد في سبيل الله وإعلاءً للحق على الباطل، فيقلب الفيلم ركائز مهمة في الدين الإسلامي ويُشكك بها فيجعلها نسبية بشكل لا شعوري فيجعل

الشباب وممن يُشاهدون الفيلم في حالة ارتياب والتباس في أمور دينهم وفرائضه، فلا وجود للمطلق ولا للأحكام المقدسة التي لا لَبَسَ فيها التي تجعل الإنسان إنساناً بفطرته وعقيدته وعقله.

المشهد: يختبئ الجزار في أحد المطاعم ليلاً، يقتحم الجنود المطعم ويتفاجأون برجلٍ مشبوحٍ معلقٍ بجزيرٍ حديديٍّ مضجرٍ بالدماء وهو ميتٌ بالتأكيد، ثم تباغاً صور رؤوس مقطعة وأعضاء مقطعة أرجل وأيدي مرصوفة على الرفوف.

هذه المشاهد كانت قاسية جداً ويليق بها أن تُضاف لفيلم رعب وإثارة، وترى الباحثة إضافتها ما هو إلا تأكيداً على إجرام الجزار ومن معه، وتجده الباحثة توثيق بالصوت والصورة (على اعتبار أن الفيلم كاملاً مبني على قصة حقيقية) على إدانة العرب والمسلمين ككل، ووصفهم بالسفاحين ومقطعي الرؤوس على أساس أن الجهاد هو تقطيع الناس والتمثيل بجثثهم، والغريب أن المشهد لم يوضح ما إذا كانت الضحايا المقطعة لجنود أمريكيين أو أناس مدنيين عراقيين، هذا تحيزٌ فظيعٌ واتهامٌ فحج أن تدعي السينما الأمريكية هذا الإدعاء وتلصقه بالمسلمين، فالغرب منذ حروبهم الصليبية إلى يومنا هذا يتصفون بسفك الدماء والفساد وكثرة الهرج والمرج، والأمريكيون أقاموا دولتهم (الولايات المتحدة الأمريكية) على دماء الهنود الحمر الذين أبادوهم حق إبادة، هذه حقائق لا يمكن نكرانها ولا ينساها التاريخ، فادعاء المثالية والنموذج وأنهم صنّاع المجد لن يغير من حقيقتهم شيئاً، ومحاولتهم لقلب الطاولة ورسم العرب والمسلمين بيدهم سكين وقطاعة هذه صور توهموها ورسموها فصدقوها هم، ويريدون من العالم أجمع حتى المسلمين أنفسهم الإيمان بها وقبول الإساءة إليهم.

وعلى سيرة الرؤوس المفصولة عن الأجساد والأعضاء المقطعة تُضيف الباحثة أنه في هجوم السابع من أكتوبر اتهم الاحتلال الصهيوني المجاهدين أنهم قطعوا رؤوس الأطفال والنساء وحرقوا المدنيين، وهذه التلفيقات أعطتهم الحق الغليظ في الدفاع عن النفس وتحويل غزاة إلى أرض خراب وممارسة إبادة

جماعية مُربعة ليس بالإمكان تخيلها، وما تؤيده الباحثة أن نهج الغرب منذ الزمن الغابر إلى يومنا هذا نفسه، قائم على ثقافة العرق الآري وتفوق الأبيض، ونظرية داروين البقاء للأقوى.

إنّ وجود أنماط تحفز المشاهد على الكراهية وتزرع فيه العنف والتطرف تجاه الجماعات العربية الإسلامية يأتي من باب إخافة القطيع من الأعداء، ففي الثلاثينيات أخافهم هتلر من اليهود والغجر، ثم تمت إخافتهم من الروس، لكنهم بعد فترة فقدوا جاذبيتهم كعدو، ولذا لا بد من إيجاد غيرهم، فأصبح الإرهاب العالمي والمجانين العرب وصادم حسين هتلر الجديد الذي سيغزو العالم فكان عليهم لزاماً الإتيان بالواحد تلو الآخر لقذف الرعب في صدور الناس حتى يعيشوا في ذعر مُبتعدين عن القضايا الداخلية منشغلين في العالم أجمع (نشومسكي، 2003، صفحة 24).

المشهد: القناص العراقي (مصطفى) ذو البشرة السمراء الملتحي، بعيون بنية حادقة، يلف على رأسه وشاح الحطة، يرتدي كفوفاً جلدية؛ لتسهّل عليه عملية القنص، يخرج مصطفى ويتناول قناصته التي كان يضعها على سجادة الصلاة فوق منضدة، وهو يمشي خارجاً من منزله توجه الكاميرا عدستها إلى علم أمريكي مُعلق على شكل لافتة مكتوب فيها: "من يُحضر حياً أو ميتاً القناص المسؤول عن قتل الأبرياء من العراقيين له 180000 دولار." صورة صليب على الجانب الأيمن للافتة، وصورة قناصة كبيرة على وسطها...مشهد آخر يرّن هاتف مصطفى ويتلقى معلومة من أحدهم، يتحدث في الهاتف بينما امرأته في مقتبل العمر كأنها، تحمل مولودها الصغير تهززه بين ذراعيها، لكنه يبكي بحرقّة، يخرج القناص لا يهتم بهما، ولا يلتفت إليهما، وقبل خروجه من منزله تظهر صورة معلقة على الحائط من الأولومبياد العالمية وصورته يحمل الميدالية بجانب أصدقائه الفائزين وإحداهما إيراني يحمل علم وطنه.

تتكرر الصورة النمطية للمسلمين من وجهة نظر الغرب في الفيلم فلون البشرة وملامح الوجوه تكاد تكون واحدة، كذلك وجود سجادة الصلاة المُختصة بالمسلمين مقرونةً بالسلاح تحيزٌ مقصودٌ ضدّهم

والسلاح دلالة على العنف والخراب وبالتالي تظهر صورتهم على هيئة انعكاس للإجرام والفساد، وكأن السينما تفرض واقعاً جديداً وتعزز مَشاهد التُحيز؛ لتخلق رُؤى تتسجم وتحاكي الثقافة الأمريكية باسم النظام العالمي.

فالفوارق الثقافية متعددة في الفيلم لا تكاد تخلو من كل مشهد، فمثلاً في الشكل بين مصطفى القناص العربي كما ذُكر سابقاً، وبين القناص كاييل الرجل الغربي الأشقر مفتول العضلات، بعيون زرقاء وقامة رشيقة وطول لافت، ناهيك عن لطافته مع من حوله جميعاً، فهذا بالإمكان تسميته تحيزاً وفرض علمنة الشكل بصورة مبطننة.

أمّا عن صورة اللافتة في مجملها تحمل علامات الشر النابع من العرب المسلمين تجاه الأمريكيين المسيحيين مع التركيز على صورة الصليب، فيُحاول الفيلم ترويح فكرة الكراهية بين الأديان بصورة أو بأخرى.

أيضاً تتكرر صورة العائلات العربية غير المستقرّة والمرأة المُعنفّة، وتظهر زوجة القناص وكأنها أصبحت أمّاً مُبكراً، فالقلق يبدو جلياً على وجهها وتشتتها لا يخفى، بحيث لا تعرف ماذا يريد طفلها فهي لا تجيد إلا حملة وهزته، وأمّا الزوج-القناص مصطفى- الذي من المفروض أن يكون سنذاً لزوجته في فترة النفاس المؤرقة لكل أم، لا يكثرث لوضع زوجته أو طفله ولا ينبس بكلمة، يجلس على أحرٍ من الجمر منتظراً مكالمته من أحدهم بكل توتر وعصبية؛ ليسفك دماء القناص كاييل (الرجل الغربي الشهم كما صورّه الفيلم) ويُنهى حياته.

وتُجري الباحثة مقارنةً صنعها الفيلم بشكلٍ خفي، وهي صورة القناص كاييل المُهتم بزوجه ونفسيته عند ولادتها فيحتضن ابنه ويحمه بكل سعادة، محاولاً التخفيف عن زوجته والإحساس بألمها والتأكيد على دورها، وصورة القناص مصطفى كما ذُكر سابقاً، فالفيلم يتحيز بشكل مباشر للعائلات الأمريكية والزوج الأمريكي والمرأة الأمريكية حتى للطفل الأمريكي فهو لاء هم النموذج الواجب اتباعه، وبالتالي

لا إرادياً ينجذب المشاهد لهم، ويصبح مهووساً بالقناص كايل وأفعاله، فيربط في عقله الباطنيّ بين الأمريكي والأنسنة والنمذجة والحادثة وكل ما له علاقة بالتطور والتقدم، ويصنع علاقة بين العربي المسلم والتخلف والرجعية والتعصب.

تلقتُ الباحثة لمشهد صورة القناص بجانب زميله الإيراني في الأولمبياد وفي هذا إشارة واضحة إلى العلاقة الوطيدة، والتعاون الكبير بين العراقيين و السوريين والإيرانيين، فأصل القناص سوري جاء إلى العراق ليجاهد مع العراقيين، وبما أن العلاقة بين إيران والولايات المتحدة كالدهن والنار، فإذا صديق عدوها بالمنطق عدوها أيضاً، وهذا تبريرٌ يُضاف إلى لائحة احتلال العراق.

المشهد: بعد قتل الجزار يثور العراقيون فتخرج مجموعة من الرجال وكبار السن يرتدون الدشداش والحطة وبعضهم يرتدي قميصاً وبنطالاً ومجموعة من النساء ترتدي العباءة السوداء وبالطبع يمتلكون بشرة حنظية وملامح حادة، يرددون: "الموت لأمريكا، لعنة الله عليكم، الله أكبر، برى أمريكا (بمعنى إلى الخارج)".

ترى الباحثة أن المشهد يُظهر متعمداً ثقافة العراقي الهيجي الشرير المتمثلة بالجمع الكلي للعرب والمسلمين، عبر ملابسهم البالية التي عفى عنها الزمن، وفكرهم المتعصب -الشبيه بلباسهم- الإرهابي الذي ينادي ب"الموت لأمريكا، الله أكبر،...".

المشهد: يتحدث القناص كايل مع صديقه أثناء ذهابهم إلى مهمة عسكرية، "هل اشتريته من الوحوش هنا؟".

هنا يتعجب القناص من شراء صديقه الجندي خاتماً لحبيته (عرض الزواج)، من الوحوش العراقيين المتمثلين بعروبتهم وإسلامهم، فكلمة وحش كما ترى الباحثة لها أصداء عميقة في الشراهة والوحش كالنور الهائج يهاجم ويأكل كل ما يواجهه، دون تردد وبأقصى درجات الهمجية.

المشهد: “ لقد هرب الأشرار إلى مدينة الصدر...يراقب القناص طفلاً يحاول حمل صاروخ مُلقى على الأرض، ”إيّاك والتقاطه بحق الجحيم، يا ابن العاهرة“...“لا تطلقوا النار هناك أشرار تحتنا مباشرة“...يشتبك الجنود مع المقاتلين يقول جندي:“ فلنتذوقوا ذلك أيّها الداعرين“.

ترى الباحثة التحيز اللغوي واضحًا، فلا تنكر أنه عنصرٌ أساسيٌّ لإسقاط الثقافة العربية من أعين أصحابها أولاً وقبل كل شيء، ويأتي ذلك باستعمال ألفاظ تثير دعر المشاهد وتحاول إقناعه بالصورة المرسومة مدّعمة بألفاظ تُعبر عن طبيعته وجوهره (العربي المسلم)، فتارةً جاء شريراً، ومرةً وحشاً، وأخرى ابن عاهرة، وأحياناً داعراً سفّاحاً،... والقائمة تطول، للربط بين أسوء الألفاظ والصفات وإصاقها به، فاستطاعت السينما تحويل الحق إلى باطل وتزوير الحقائق بشكل لا يجعلهم يقفون موقف المتهم؛ بل موقف الدفاع عن النفس وإثبات الوجود.

بطاقة فيلمية: الحرس القديم

- اسم الفيلم: الحرس القديم The Old Guard.
- تاريخ الإنتاج: 2020م.
- مدة العرض: 125 دقيقة.
- المخرج: جينا برينس بيثوود.
- السيناريو: جريك روكا.
- اللغة الأصلية: اللغة الإنجليزية.
- بطولة: تشارليز ثيرون، كيكي لين، ماتياس شونارتس، هاري ميلينج، مروان كنزاري، لوكا مارنيللي.
- التصوير: باري أكرويد.
- موقع التصوير: المغرب، المملكة المتحدة، استوديوهات شيبرتون في إنجلترا.

- الشركات المنتجة: دنفر ودليلة برودكشنز، نتفلكس، سكاى دانس برودكشنز.
- التوزيع: نتفلكس.
- الميزانية: 70 مليون دولار أمريكي.
- المشاهد متسلسلة تدريجيًا.

المشهد: يفتح الفيلم مشهد البداية من مدينة المغرب العربية، وعبارة ” إذا كنت ممتًا سوف أعطيك أكثر“ مكتوبة على حائط طيني مشقق محفّر، طريق ضيق وعلى الجوانب بيوت من الطين ملتصقة ببعضها بعضًا، أسطوانات غاز داخل عربة رابضة أمام منزل دون أدنى مسؤولية، جدران مليئة بالكتابات والأحرف الإنجليزية، محل تجاري يعلق حطات متعددة الألوان والنقشات.

إنّ العبارة المكتوبة هي ترجمة للآية الكريمة: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7] والغريب أنها لم تُكتب على هيئة هذه الآية الكريمة، بل كُتب شرحها، قد يكون السبب هو ما تُرجحه الباحثة اعتبارها مقولة عربية مُتعارف عليها، ومحاولة الفيلم الابتعاد عمّا هو ديني، لأننا سنستنتج فيما بعد محاولات الفيلم بث الفكر الإلحادي، المظهر العام للبيوت والطرفات يوحي بعروبتها فهي ضيقة تُرابية، فعدد السكان الكبير يجعلهم يشيّدون بيوتًا ملتصقة ببعضها بعضًا، تبرز في المشهد قلة المسؤولية التي تتجلى في إسطوانات الغاز المكدسة في عربة مفتوحة على الشارع، فصورة الثقافة والفكر العربي الممنهج المُكرر في أفلام هوليوود ”تساعد المشاهد الضحية على التماهي مباشرة مع الواقع.. وتمنع عنه كل نشاط عقلي إذا ما أراد عدم إضاعة أي حدث من الأحداث التي تُساق أمام عينه.“ (هوركهايمر و أدورنو، 2006، صفحة 48) أي تجعل المشاهد في حالة نوبان مع المشهد بحيث يتسلل إلى دماغه كما هو دونما معالجة.

يبين المشهد مدى تأثر العربي بالثقافة الغربية بشكل كبير وهو ما تبرزه جدران المدينة المليئة بالعبارات الإنجليزية، والحروف الفرنسية، هذا يُشير إلى ضياع اللغة العربية واستبدالها، وتجد الباحثة أن هذا يدل

على عدم ثقة المواطن فيها في التعبير عما يدور في خاطره (المواطن المغربي العربي)، فيلجأ للإنجليزية أو الفرنسية بحكم الاستعمار أو الاستعمار الطويل الذي عايشوه.

تتجه الكاميرا إلى الحطّات التي تعد جزءاً من هوية العرب والمسلمين في دلالة واضحة على عروبة المكان، وليس مجرد مشهد توهيمي؛ ذلك لإقناع المُشاهد بحقيقته دونما تزوير أو تلفيق.

المشهد: (في أفغانستان) صورة صحراء واسعة وجبال جرداء، بيوت من الطين أو الرمل، جنود أمريكيون يجوبون المنطقة، كثبان رملية غبار مُلوّث صخور وطرق غير مُعبّدة، أطفال كئيبيون ببشرة سمراء وأجساد نحيلة، رجال يرتدون سراويل واسعة وبعضهم عباءات وعمامات، يتجول الجنود بين الناس يعرضون صورة رجلٍ مطلوب إن كانوا يعرفونه أو لا، بلا إعتقالات أو تحقيقات، صورة الرجل المسلم مُلتحٍ بلحية ممتدة مع شاربه، نظراتهم تنذر بالخطر والشر، مجندات يضحكن مع الأطفال ويوزعن الحلوى عليهم.

أفغانستان هي دولة مسلمة، ولا شك أن معالمها صحراوية كونها دولة حبيسة، ولكن التحيز الذي تتلمسه الباحثة في صورة الصحراء التي تتواءم مع إطارها التصوري بحيث لا تُرى إلّا مرتعاً للشر والعداء.

يكن في صورة الأمريكي اللطيفة في تعامله ونظرته التي تتقبل الناس بأطيافهم وتنوعهم، يظهر أيضاً في ملامح المسلمين وهيئتهم العامة.

في الحقيقة لا تنكر الباحثة أن المجتمع الأمريكي مجتمع كوزموبوليتي متعدد الثقافات، ولزماً على الفرد الأمريكي احترام الثقافات الأخرى، لكن لا يعني أن يمارس الأمريكي نفس المعاملة مع من يعدّهم أعداءً، أو مع دول العالم الآخر.

والجدير بالذكر أن السينما الأمريكية تبذل قصارى جهدها في ترويح صورتها التي تحرص بأن تظهر مظهر اللطيف المُحب الرحيم، بما أن هوليوود تُعدّ سلاحاً فتاكاً في فرض ما تشاء وبالصورة التي ترتئها، وإن كانت على حساب تدمير الآخر.

أمّا عن صورة المجندات وتعاملهن مع الأطفال فهي صورة مؤثرة فعلاً، وتجد الباحثة إن مثل هذه الصور التي نراها في هوليوود يصدقها المشاهد ولا يستبعد حدوثها، وترى حتى وإن كانت الصورة عكس ذلك أيضاً سيتقبلها المشاهد؛ "لأن عنف المجتمع الصناعي قد صار جزءاً من نسيج الذهن الإنساني، ومنتجو الصناعة الثقافية يمكنهم أيضاً الاعتماد على واقع آخر، إذ يعتقدون أن المشاهد وإن كان مشتت الذهن بإمكانه أن يستوعب كل ما يُعرض أمامه" (هوركهايمر و أدورنو، 2006، صفحة 149).

وتُكمل الباحثة مؤثرة للمشاهد ولكن ليس بالضرورة أن تشكل محاكاة للواقع، فالولايات المتحدة احتلت أفغانستان بدعوى القضاء على حركة طالبان فقط، ولكن العديد من المدنيين صغاراً أو كباراً قضوا نحبهم في هذه الحرب، فمشهد ملاطفة الجنديات لن يغير حقيقتهن بأنهن قد قتلن والد أو أم أو أخ أو أخت إحدى هؤلاء الأطفال، لن يغير من نظرة هؤلاء على الأقل لو كانوا مُشاهدين أفغانستانيين، ولكن بشكل عام مشهد مثل هذا وغيره قادر على استعطاف العالم أجمع، وبشكل خاص استعطاف الإمبرياليين الذين يؤمنون بمقولة البقاء للأفضل.

المشهد: ينادي القائد المجندات، ويقول: "النساء مختبئات في المنزل المُزِين بالأفواس، وزودنني بالمعلومات".

مُجندة تُخبر الجنديات: "تعاملن باحترام".

ترد الأخرى: "أليس هذا ما نفعله دائماً؟".

المُجندة: "لا ضير في التكرار".

تمشي المُجندات صوب البيت الذي تختبئ فيه النساء، صورة لملابس منشورة على الجبال وعلى الأسوار القصيرة، عند المدخل الخارجي فوضى من الأواني، خرطوم مياه مُعلق بالقرب من مدخل المنزل، تدخل المُجندة بكل وقار وتقف أمام النساء وتقول: "السلام عليكم"، لم ترد النساء السلام، صورة

النساء الأفغانيات يلبسن عباءات مُلوّنة، غطاء على الرأس يُغطّين به نصف وجوههن كالمُلتئم، بشعات تظهر عليهنّ ملامح العنف والحقد، بشرتهنّ سمراء، شعرهنّ الظاهر من الحجاب أسود، لا تبرز عليهنّ ملامح الأنوثة، صورة المجنّدة الأمريكية من الأمريكان الأفارقة، بشرتها سمراء وشعرها أجدد.

هنا نلاحظ احترام خصوصية النساء عند الغرب كما جاء في الفيلم، فيأمر القائد المُجنّدت بالذهاب إلى النساء، ولم يأمر الجنود مع أنهم كانوا متواجدين، كذلك تشدد المُجنّدة على المُجنّدت بضرورة احترام النساء والتعامل بلطف، لترد الأخرى باستهجان أليس هذا ما فعله دائماً؟! فالتحيز هنا لصالح الأمريكي المثالي صاحب القيم والأخلاق الرفيعة، ولا تمكّر الباحثة أن السينما الأمريكية تُقدم أفضل نسخة للأمريكي في تعاملاته وتفكيره وثقافته أي تُقدم النموذج للعالم البشري.

والعجيب أن المُجنّدة الإفريقية السمراء كانت تمثّل الجانب الأمريكي، فهوليوود تتعمد إظهار هذا النوع من المشاهد ومحاولة إلغاء التمييز العنصري الذي تبوأ عهداً وترك ندبة لا يمكن نسيانها، وما تراه الباحثة هو استعراض سينمائي، لأن الحقيقة تُخالف هذا، وأن الولايات المتحدة كشعب وحكومات ما زالت تمارس التمييز العنصري والعنصري ولكن ليس كما قبل بشكل واضح علني، والحق أنه لو حاول أهل الأرض وأنتجوا دعايات إعلامية ومشاهد من أفلام، ما استطاعوا أن يبيثوا شعور المساواة والتواضع بين الناس كما يبيثه الحج في مكة فيطوف مع الطائفتين من كل لونٍ وجنسٍ و عرق يتساوى الناس في المكانة، فلا فرق بينهم إلا التقوى والعمل الصالح، ومع ذلك ما زال الغرب يدّعي المثالية على المسلمين وتتولى الولايات المتحدة زمام إنتاج قوانين لاحترام الأقليات، وفي خضمّ هذا أنتجت إسرائيل فيلماً اسمه (تجارة العبيد) وهدفه التشهير بالعرب والمسلمين وبث الفتنة والفساد، صحيح أن تجارة العبيد كانت قديماً منذ الجاهلية عند العرب ولكنها غادرت دونما رجعة مع ظهور الإسلام وتكريم النفس البشرية (كشك، 1966، صفحة 48). أمّا الأمر الفُكاهي حقاً أن الغرب وأمريكا وإسرائيل لم يلتفتوا إلى أفعالهم مع العبيد وغير العبيد من البشر، ولماذا اللوم قد لا يمتلكون مرايا تعكس أفعالهم!.

أما عن ملامح الحقد التي تعتري النساء الأفغانيات، فترى الباحثة أنه تحيزٌ إلى حد المغالاة، فالنساء الأفغانيات في ظل حرب أمريكية أوقعت العديد من الضحايا ونجم عنها نزوح أعداد كبيرة من العائلات، والمعروف أنّ المرأة في الحروب تصبح رجلاً ليس في الشكل؛ بل تضع على عاتقها مسؤوليات البيت والاهتمام بأطفالها، ودعمهم ومساندتهم، وهي قبلهم تحتاج للدعم النفسي لكنها جبارة تضحي لأجل أبنائها، وأن يستغل الكاتب أو الفيلم حالة النساء الكئيبة ويصنع منها صورة لهنّ ويروج أنّ المرأة المسلمة عنيفة شريرة، لا تهتم بالنظافة أو النظام، وينسى أنّ الحرب التي شنوها هي السبب في جعلهن بهذه الهيئة وأطفالهن وأزواجهن، وأما فيما يتعلق بعدم رد تحية الإسلام على المُجندة، هذا أمرٌ مردود عليه، فكيف لمُجندة وجيش قتلوا ما قتلوا وعاثوا خراباً وكانوا سبباً في دمار العائلات وفقد الأحباب أن يقولوا السلام عليكم! فلو ردتّ النسوة وقالت: عليكم السلام، فهذا أيضاً لن يغير من حقيقة كونهم أعداءً.

ومن اللافت أنه منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، تسابق الصحفيون ووسائل الإعلام إلى تحويل إمبراطورية الشر من الاتحاد السوفييتي إلى الإسلام الذي أضفوا عليه صبغة الشرق، ومن ثم حشدت السينما وأجهزة الإعلام صور نمطية تحط من قدر المسلمين ومستواهم، فأخذت تسوق للعلاقة بينهم وبين الإرهاب، وتربط بين العرب والعنف، وتجمع بين الشرق والطغيان (سعيد، 2006، صفحة 525).

المشهد: المُجندة للنساء: "شكراً لأنك سمحتنّ لنا بدخول بيتك سنتركن في سلام." بالقرب من المُجندة سجادة حمراء تُغطي باباً، الرجل المطلوب مختبئ في هذه الغرفة، تقتحمه المُجندات وتطلق النار على الرجل المطلوب فيقع أرضاً، صورته مُلتح يرتدي عمامة ودشاش أبيض، الغرفة مليئة بالفوضى مُتفجرات وقنابل، ذخيرة وأزرار تحكم، صورة الكعبة المُشرقة وإمرأة محجبة ترتدي عباءة سوداء ترفع يديها وكأنها تدعو الله مُعلقة على حائط الغرفة، المُجندة تطلب من أخرى: "اطمئني على النساء."، ولأنهم يريدون الرجل المطلوب حيّاً حاولت المُجندة إنقاذ الرجل، وأثناء محاولتها تناول الرجل المطلوب

وهو ينزف أرضاً سكيناً ونحر رقبتها، السجاد يغطي المكان، براميل صفراء وزرقاء، علب صغيرة ومواد كيميائية، مروحة صغيرة، مقتنيات صدئة.

في هذا المشهد تدرك الباحثة نوع من الالتباس فكيف تهجمُ المجندة والأخريات على منزل النساء -ثم لماذا تحشد النساء في منزل واحد أساساً- دون استئذان، ثم في نهاية الاقتحام تقول: "شكراً لأنكن سمحتن.."، وما دار في المشهد لا يوحي بأن النساء سيسمحن للمجنذات بالدخول لو خيّرُن، فلطافة المُجندة كما جاء في الفيلم هو امتداد للخطاب الاستعماري الأمريكي الذي تمارسه على الدول الضعيفة وبالأخص العربية الإسلامية المُغلّف بغلاف اللطف والتحضر خارجياً، والمُعبأ بالأحقاد والكراهية.

أما عن المُجاهد المُطارِد والتركيز على هيئته وعيشه التقليدي البدائي وملابسه الرثة البالية وغرفته المليئة بالفوضى والقاذورات، هو تأكيدٌ على همجيته وانحطاطه ودونية مستواه، فالثقافة الأمريكية وآنها الإعلامية الأخطبوطية لم تتوقف لحظة عن ترويح هذه الصورة ولم تتوان في جعلها أساساً يُبنى عليه لأي فيلم أو مشروع إعلامي.

وترى الباحثة وجود الصورة المُعلّقة على حائط الغرفة لم تكن محض صدفة، بل هي اعتراف صريح بأن المُجاهد يستمد قوته وإرادته في قتل أعدائه من تعاليم دينه الإسلامي الممتدة من أقدس بقعة المتمثلة بمكة المكرمة مولد الهادي محمد(صلى الله عليه وسلم) حيث انطلقت منها شعلة الإسلام والجهاد والمُجاهدين، مما يجعل الفيلم دعوة صرفة للريبة والخشية من العرب المسلمين، مما يُوّجج صراع الحضارات والأديان.

المشهد: صورة جوية لدولة المغرب، نخيل مآذن مساجد، منازل مسقوفة بالصفائح الحديدية، صحون ستالايث، أسلاك كثيرة، قطة تنتقل بين الأسطح العفنة، مياه عادمة وجارية تملأ الطرقات، شوارع غير نظيفة.

إن الصورة الذهنية التي تحاول السينما الأمريكية الغربية بثها والتأكيد عليها هي صورة العربي المسلم المتخلف البدائي، فيظهر التحيز مستحكما في الوجدان والذاكرة في الصفائح الحديدية والأسلاك المبعثرة، في الشوارع الملوثة، فأصبح المشاهد يربط بين هذه المشاهد وحياة العرب المسلمين غير المتزنة صحياً وإنسانياً المليئة بالجهل.

وترى الباحثة في المشهد تفسيراً وتسويغاً للفوارق الثقافية، فتقافة الأجنبي وعيسته وحياته تختلف اختلافاً جذرياً عن العربي المسلم فشتان بينهما، ومن وجهة نظرها تجد أن مثل هذه المشاهد الثانوية التي تكاد تكون عرضية وسريعة لكنها تأسس لتراثبية التحيز التي تتلاءم وفكرة الفيلم، حيث يحتل العرب والمسلمون أدنى المراتب الحضارية وأقل شأنًا من غيرهم وهكذا إلى أن يُحقق الفيلم أغراضاً سياسية وأيدولوجية تصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية رائدة النظام العالمي والمؤسسة له.

فالغرب عامة والولايات المتحدة خاصة لا يترددون لحظة في الإبانة عن الفجوات في جعبتهم، فالنفاق وإزدواجية المعايير وغيره هو ثمن تلك العالمية المزعومة والحق بالقطار الغربي، فالغرب مع الديمقراطية لكن ليس عندما تأتي بالأصوليين الإسلاميين إلى السلطة، والغرب مع منع انتشار الأسلحة وبيعها وهذا يُطلب من إيران ولكن ليس من إسرائيل، فحقوق الإنسان قضية مع الأوكرانيين وليس مع الفلسطينيين.. وهكذا (هنتجتون، 1999، الصفحات 294-295).

المشهد: طفل لم يتجاوز العاشرة يبيع البالين في الطرقات، امرأة كبيرة في السن مُحجبة تتبع بالونات بأشكال ديزني (سبايدرمان، فروزن، هيلو كيتي،..) أسواق مكتظة بالناس بشكل غير مُحبيب.

يظهر الوضع الاقتصادي الصعب الذي يعيشه العرب بشكل عام، ليضطر الطفل الصغير إلى الخروج إلى سوق العمل، وتجبر المرأة المُسنة لبيع ما تنتجه الثقافة الأمريكية من شخصيات كرتونية تجذب الأطفال وتستهوهم.

وترى الباحثة أن الصورة توضح عمالة الأطفال وسوء معاملتهم، حيث يتعب الطفل لكسب قوت رزقه وعائلته ويبدل جهداً مضاعفاً، يتماهى في مجتمعٍ ظالم يُفقد براءته ويحرمه طفولته، و ملامح هذا المجتمع عربي مسلم، فتعود الباحثة لسيمفونة الصورة الذهنية المرتبطة بالفقر والجوع مُضيفاً إهمال الأطفال واحتياجاتهم النفسية والعاطفية.

أمّا عن المُسنة التي تروج للثقافة الأمريكية، فتُشكل الجهل الجمعي للعرب المسلمين الذين يتداولون الثقافة الأوروبية وأمريكية بجميلها وسيئها، ويُربون صغارهم عليها بلا تفريق، ففكرة المشهد جاءت لتعزز النظرة الدونية، وعدم الاستقرار الاقتصادي الذي أصبح عبئاً في الزمن الحاضر على العائلة لتوفير حياة كريمة، ذلك أن الزمن الحاضر يحفل بتغييرات جذرية في الاحتياجات والرفاهيات، فتصبح الأسرة كالألة تدور وتدور لمواكبة الموضة والأزياء والتقنيات، والأجهزة الذكية،... وغيرها.

وترى الباحثة تركيز الكاميرا على الحالة السيئة للأطفال والنساء (وملابسهم الرثّة) تأكيداً لتعرض هذه الفئة للظلم الكبير، وسبب الظلم وجودهم في مجتمعات عربية إسلامية لا تُقدر الإنسانية، فدينهم هو ما يقودهم إلى الجنون والهوس.

المشهد: البطلة آندي تسأل صديقتها: "هل تصلين؟ لا وجود للرب". مع ضحكة استهزاء.

تُجيبها: "ربي موجود" (ترتدي صليباً في عنقها)

تُجيب البطلة: "في زمنٍ ما عبدني الناس كإله... ليس لأي شيء معنى على أية حال.. اسمعي يا فتاة، أنت مؤمنة بالفعل أنصحك بالاستمرار في اتباع هذا اللا منطق، لذا أنت تؤمنين بالفعل بالقوى الخارقة للطبيعة".

إن فكرة الفيلم ككل خارجة عن المألوف الطبيعي، فالإنسان كل إنسان له عمر مُعين قد يصيبه المرض أو السقم، وقد ينتهي أجله في أي لحظة، أمّا أنه يتلقى الرصاص ويلقى حتفه ولا يموت فهذا شيء

خارقٌ لا عقلاني يتعارض مع السلطة الإلهية، فإن يصح التمييز بين الله والإنسان لا يتجاوز العقل المسالم تمامًا كما كان الأمر زمن هوميروس، فالله الخالق بوصفه سيد الطبيعة لا يتميز عن العقل الإنساني المدبر الذي يُشبهه، فالإنسان يُشبهه الله بسيادته على الوجود وبهذه الممارسة تصبح الأسطورة تنويرًا والطبيعة محض موضوعية (هوركهايمر و أدورنو، 2006، صفحة 29)، والمادة هي أساس أي شيء.

فاستهزاء البطلة من الدين ومن المسيحية يقع ضمن إطار الاستهزاء من الأديان وثقافة الدين المفروض وما أهميته في الأصل، فيصبح الإله الذي هو جزءٌ من الدين ضربًا من القوى الخارقة للطبيعة، التي لا يتوجب علينا فهمها أو محاولة التقرب إليها؛ لأن القوى الخارقة تحرق كل ما هو حقيقي وتخرج عنه، فهكذا هو الإله والإيمان بوجوده المطلق.

فالحداثة الغربية العلمانية هدمت علاقة الإنسان المخلوق الضعيف بربه الخالق العظيم، وجعلتها حلوية أقرب إلى التفكيك والعبثية، فنادت بالإلحاد واللاأدرية¹، فلا منطق يحكمها ولا عقل يقنع بها، فالعقل مادة خام لا يميّز صاحبه عن باقي المخلوقات.

ويصبح العقل التوليدي والإبستمولوجيا ضربًا من تضييع الوقت والهراء.

المشهد: البطلة آندي تتخلص من عدد كبير من عناصر الشرطة وتطرحهم أرضًا مُضرجين بدمائهم، يجيب صديقها: "أجل تلك المرأة لديها أساليب للقتل أكثر مما يمكن أن تتعلمه جيوش كاملة".

ويرجع هذا إلى تعلمها أساليب القتال منذ آلاف السنين فهي موجودة من قبل الميلاد حسب ما جاء في الفيلم.

وتلفت الباحثة النظر إلى جرائم القتل وعدد الضحايا الذين أوقعتهم "آندي"، فعناصر الشرطة بشر و لدى كل منهم عائلته وحياته، فلماذا تقتلهم بدم بارد وبلا رحمة تنهي حياتهم؟! إن الإجابة عن هذا السؤال

¹ اللاأدرية: هي موقف عدم المعرفة تجاه وجود إله، وأنها حل وسط بين الإيمان والإلحاد تُأرجح في المنتصف بين نقيضين. يُنظر: (بودايفان، 2024، صفحة 19).

تتّخص بالنظام العالمي الجديد القائم على كلمتين: البقاء للأقوى، بلا ضمير أو إنسانية أو أي شفقة، الذي سهّل امتلاك الأسلحة وبيعها للدول وبالتالي إثارة النزاعات والحروب.

المشهد: يسأل نيكي عن حال جو (صديقان) أثناء عملية خطفهم، فيُجيب الشرطي أهو حبيبك بلهجة استهزاء، فيُجيب: "إنه ليس حبيبي، إنه القمر حين أضيع في الظلام.....، ولا تزال تثيرني قبلته حتى بعد مرور ألف عام...،حبي لهذا الرجل يفوق كل القيود والحدود.

يُجيب صديقه جو: "أيها الرومانسي الهائم" ثم يُقبّلان بعضهما البعض بشدّة في مشهدٍ جعل عناصر الشرطة في حالة ذهول.

إنّ الفكرة برمتها التي يحاول الفيلم ترويجها تخطّت كل مقاييس الحدود والقيود فعلاً، فلا شرع ولا دين ولا عُرف يقبل بالعلاقة الشاذّة بين الرجل والرجل، أو بين المرأة والمرأة الذي يُعرف بالمثلية.

فمحاولات تطبيع أفعال قوم لوط في مجتمعاتنا تجري منذ زمنٍ بعيد، فالغرب أطلق عليها الدين الجديد الذي لا بد من عولمته، فالمحاولات إلى الآن ما زالت محاولات ليست كالمسار الغربي وصلت إلى حد التطرف والفجور، وهناك وسائل يتم استغلالها للحيلولة في تطبيع الشذوذ في بلادنا (طه، 2021، الصفحات 89-91):

مدخل المعارضة السياسية: فيتم الخلط بين المعارضة السياسية و المظالم الاجتماعية و بين محاولة تطبيع الشذوذ والمشكلة الكبرى أنه يتم تمريره على أذهان الناس دون الانتباه لمدى خطورته.

مدخل حقوق الإنسان: من خلال انتهاز فرصة الحالة المتردية لحقوق الإنسان في البلاد العربية، وعدم الاهتمام بالكرامة الإنسانية وامتئانها في المجتمعات العربية لتمرير فلسفة الشذوذ على أنها حق أصيل من حقوق الإنسان يجب احترامه والأخذ به بعين الاعتبار كجزء مهم في المجتمع.

وأخيراً والأهم مدخل التعليم الدولي: الذي يدق ناقوس الخطر في تدهور أخلاقيات وثقافة الأجيال، من خلال ضخ مناهج كاملة من الغرب محمّلة بفلسفات إباحية علمانية تتماشى و الفكر الغربي، وممن يتخرجون من هذه المدارس والجامعات يحتلون مراكز التوجيه والقيادة في المجتمعات.

المشهد: يقول كوبي لميريك (مُصنّع الأدوية): "هدفنا هو العلم لا الأرباح ولا السادية".

كان هدف كوبي عندما أوقع بالخالدين الأربعة هدفاً سامياً لإفادة العالم والاستفادة من جيناتهم الوراثية بشكل أخلاقي يكفل حمايتهم، لا أدبّتهم أو تعذيبهم، ولكنّ ميريك لا يؤمن بالأخلاقيات ويردّ: "وكان وكالة الاستخبارات المركزية لم تُخف أحدًا من قبل، وكأنها لم تُجر أبحاثاً سرّية من قبل".

هذا ما تحدثت عنه الباحثة سابقاً أن التغيير الناتج عن العلم والتطور هو غاية في ذاته وليس هدف لراحة البشرية وإنما هو خراب لسبل العيش وهدمها مع وضع الضمير الإنساني جانباً.

أمّا عن السادية فهي النهج أو الإشباع الجنسي عن طريق إيلاء الشريك في الفعل الجنسي بالتّعدي عليه بالضرب أو السب أو ما شابه ذلك" (الحفني، 2000، صفحة 525). بحيث يستمتع الطرف الأقوى في تعذيب ضحيته والنيل منها.

وتحمل السادية في كينونتها طابعاً تدميراً وأداة من أجل السيطرة والإستحواذ على الجهة الأضعف (وطفة، 2008، صفحة 82).

وترى الباحثة أنها نوع من أنواع فرض السيطرة والهيمنة اللاذعة المُبالغ فيها إلى حد تحقير الطرف الآخر والتقليل من شأنه، ولا شك أن الدول القوية تمارسه على الدول الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة، وفي الحروب يمارسه السجانون على الأسرى ويتلذذون في تعذيبهم بشتّى أنواع العذاب، وقد ينتهي بهم الحال جثّاً هامدة تشكي جُلادها إلى الخالق.

الخاتمة والتوصيات

تخلص الباحثة في بحثها إلى نتائج، أهمها:

أولاً: يخلق التحيز أزمة يدفع ثمنها الفرد والمجتمع معاً، لما فيها من جمود العقل، وتشجيع الحلولية المادية، وبالتالي فقدان أنسنة الإنسان.

ثانياً: يظهر التحيز الثقافي واللغوي في الحياة العملية وفي العوالم الافتراضية والسينمائية، فتتلاعب بالصورة الذهنية للمشاهدين، وتضخ الأفكار الدخيلة على المجتمعات؛ لتحقيق أهدافها الأيديولوجية المرصودة في تغيير الواقع لصالح قوى الهيمنة والقوة والإنتاج.

ثالثاً: تظهر من خلال استكشاف الأنساق الثقافية المضمرّة عملية تمييط صورة العربي المسلم، والخط من شأنه في الأفلام، بحيث أصبحت ركيزة من ركائز السينما الغربية متوافقة مع المصالح السياسية الأمريكية، ومحققة لأهدافها.

رابعاً: تضخيم صورة العربي الأمريكي وتنميطة بصورة المتحضر المُخلص الذي يقود العالم نحو النور والانفتاح والتحرر.

خامساً: تُعد السينما الأمريكية من أهم المنصات وأكبرها لعرض الأفكار الغربية وتعميمها في قالب يرتدي ثوب المثالية والعفاف.

سادساً: تُركّز السينما الأمريكية على تقويض معنى الأسرة عند العربي، وتحاول حثيثاً تفكيكها والتلاعب بها.

التوصيات

1. توصي الباحثة في بحثها، ضرورة البحث والتفتيش عن التحيز المُتخفي في البرامج العالمية، والألعاب الإلكترونية المنتشرة، وليس فقط السينما.
2. توصي الباحثة بضرورة الكشف عن صور التحيزات الكامنة، وتسليط الضوء على أثرها في تحويل حياة الأفراد والمجتمعات إلى شرائح مُصغرة تابعة.

المراجع العلمية

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم، عبدالله. (2004). *المطابقة والاختلاف* (الإصدار 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

أبلي، جويس. (2014). *الرأسمالية* (الإصدار 1). (رحاب صلاح الدين، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين. (2003). *لسان العرب*. القاهرة: دار الحديث.

أبو لبن، أيمن. (2015). *مراجعة لفيلم قناص أمريكي لكينيت إيستود جدلية الجريمة والبطولة*. القدس العربي.

أبوشعيرة، خالد، غباري حمد، و أحمد ثائر. (2015). *عناصر الثقافة* (الإصدار 1). عمان: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.

إسماعيل، سحر حنفي. (2016). *في الهيمنة الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية*. مجلة دراسات مالية، محاسبية وجبائية، 2(2).

إيجلتون، تيري. (2006). *فكرة الثقافة* (الإصدار 1). (شوقي جلال، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

بشر، كمال. (1999). *اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

بودايغان، روبين لو. (2024). *الأدوية*. (سارة طه علام، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

تشومسكي، ناعوم. (2003). *السيطرة على الإعلام* (الإصدار 1). (أميمة عبد اللطيف، المترجمون) القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

تودوروف، تزفيتان. (2006). *اللا نظام العالمي الجديد تأملات مواطن أوروبي* (الإصدار 1). (محمد ميلاد، المترجمون) سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

تيروسي، داروين ايفريم. (1980). *دارون ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت*. (إورخان محمد علي، المترجمون) القاهرة: دار الصحوة.

الجزار، محمد. (2006). *الفكر الإنساني* (الإصدار 1). القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

جمعة، مصطفى عطية. (2019). *شرفقة التحيز الفكري الأنماط والتجليات* (الإصدار 1). القاهرة: شمس للنشر والإعلام.

الجندي، أنور. (1987). *الفكر الغربي دراسة نقدية* (الإصدار 1). وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

حديدي، هشام. (2015). *الإرهاب بذوره وبثوره زمانه ومكانه وشخصه*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الحفني، عبد المنعم. (2000). *المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة* (الإصدار 3). القاهرة: مكتبة مدبولي.

الحمدي، تركي. (1993). *الثقافة العربية أمام تحديات التغيير* (الإصدار 1). بيروت: دار الساقى.

الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. (1987). *العلمانية*. دار الهجرة.

الداوي، عبد الرزاق. (2013). *في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات* (الإصدار 1). قطر: المركز العربي للأبحاث.

دباشي، حميد. (2016). *هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟* (الإصدار 1). (عماد الأحمد، المترجمون) ميلانو-إيطاليا: المتوسط للنشر.

دياكوف، ف. (2000). *الحضارات القديمة* (الإصدار 1). (نسيم اليازجي، المترجمون) دمشق: منشورات دار علاء الدين.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (1953). *مختار الصحاح* (الإصدار 7). القاهرة: المطبعة الأميرية.

زكريا، فؤاد. (2019). *العرب والنموذج الأمريكي*. المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي.

سادول، جورج. (1968). *تاريخ السينما في العالم* (الإصدار 1). (إبراهيم الكيلاني، و فايز كم نقش، المترجمون) بيروت: دار منشورات عويدات.

سيبلا، محمد. (2006). *زمن العولمة فيما وراء الوهم* (الإصدار 1). المغرب: دار توبقال للنشر.

سبيلا، محمد، و نوج الهرموزي. (2017). *موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسف* (الإصدار 1). إيطاليا: المتوسط، ميلانو.

سعيد، إدوارد. (2006). *الاستشراق* (الإصدار 1). (محمد عناني، المترجمون) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

شاهين، جاك. (2013). *الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية* (الإصدار 1). (خيرية البشلاوي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

الشجيري، سهام. (2018). *التحيز في التداول الإعلامي*. القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة.

طلعت، علياء. (2020). *الحرس القديم أضخم مفاجأة لمحبي أفلام الأبطال الخارقين في 2020*. الجزيرة.

طه، أحمد. (2021). *المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية*. مدونة أمتي للنشر.

عباد، كافي الكفاة صاحب إسماعيل بن. (1994). *المحيط في اللغة* (الإصدار 1). (محمد حسن آل ياسين، المترجمون) عالم الكتب.

عبد المطالب، محمد. (2011). *من سلطة الثقافة إلى ثقافة السلطة*. مجلة فصول.

عبد الملك، أنور. (1985). *تغيير العالم*. الكويت: عالم المعرفة.

عبدالرحيم، فانيامبادي. (2011). *معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاته* (الإصدار 1). دمشق: دار القلم.

عدنان، محمد عبدالله. (1926). *تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة*. مصر: إدارة الهلال.

العكش، منير. (2009). *أميركا والإبادات الثقافية* (الإصدار 1). بيروت-لبنان: رياض الرئيس للكتب.

علوش، إبراهيم. (2013). *الرسالة السياسية لهوليوود تفكيك الفيلم الأمريكي* (الإصدار 1). عمان-الأردن: دار دجلة.

عمارة، محمد. (2002). *الإسلام بين التنوير والتزوير* (الإصدار 2). القاهرة: دار الشروق.

عمارة، محمد. (2009). *تحرير المرأة بين الغرب والإسلام* (الإصدار 1). القاهرة- مصر: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع.

- الغزالي، محمد. (1985). *الغزو الثقافي يمتد في فراغنا*. القاهرة: دار الشروق.
- غليون، برهان. (1993). *المحنة العربية الدولة ضد الأمة* (الإصدار 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فريدمان، ميلتون. (2017). *الرأسمالية والحرية*. (مروءة عبد الفتاح شحادة، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- فوكوياما، فرانسيس. (1993). *نهاية التاريخ وخاتم البشر* (الإصدار 1). (حسين أمين، المترجمون) القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- قطب، محمد. (1986). *التطور والثبات في الحياة الإنساني* (الإصدار 6). القاهرة: دار الشروق.
- كشك، محمد جلال. (1966). *الماركسية والغزو الفكري* (الإصدار 2). القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
- لبيب، الطاهر. (1999). *صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه* (الإصدار 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط* (الإصدار 4). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- محمد سيد، محمد. (1994). *الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر* (الإصدار 1). القاهرة: دار الفكر العربي.
- محمد، صديق جوهر. (2016). *شابيلوك في مروج الجليل تزييف التاريخ الفلسطيني في الرواية الأمريكية المعاصرة*. القاهرة: دار صفصافة.
- المحمود، خالد. (2011). *الصور المتحيزة التحيز في المونتاج السينمائي* (الإصدار 1). قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث.
- محمود، مصطفى. (1999). *رحلتي من الشك إلى الإيمان*. مصر: دار المعارف.
- المسدي، عبدالسلام. (2014). *الهوية العربية والأمن اللغوي* (الإصدار 1). بيروت: المركز العربي للأبحاث.
- المسيري، عبد الوهاب. (1997). *اشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهااد* (الإصدار 2، المجلد 2). الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المسيري، عبد الوهاب. (1999). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية* (الإصدار 1). القاهرة: دار الشروق.

المسيري، عبد الوهاب. (2009). *رحلتي الفكرية* (الإصدار 4). القاهرة: دار الشروق.

المصمودي، مصطفى. (1985). *النظام الإعلامي الجديد*. الكويت: عالم المعرفة.

مكاي، دروني. (1952). *مدن العراق القديمة* (الإصدار 2). (يوسف مسكوني، المترجمون) مطبعة شفيق.

منصور، خيرى. (2005). *الاستشراق والوعي السالب* (الإصدار 2). القاهرة: مكتبة مدبولي.

ناي، جوزيف. (2007). *القوة الناعمة* (الإصدار 1). (محمد توفيق البجيرمي، المترجمون) المملكة العربية السعودية: دار العبيكان.

نعمان، بن أحمد. (2008). *مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السما* (الإصدار 1). الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر.

هنتجتون، صامويل. (1999). *صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي* (الإصدار 2). (طلعت الشايب، المترجمون) دار سطور للنشر.

هوركهايمر، ماكس، و ثيودورف أدورنو. (2006). *جدل التنوير* (الإصدار 1). (جورج كتور، المترجمون) لبنان: دار الكتاب الجديد.

وظفة، علي أسعد. (2008). *العنف والعدوانية في التحليل النفسي مكاشفات بنيوية في سيكولوجية العدوانية عند فرويد*. الهيئة العامة السورية.

وهبه، مراد. (1995). *الأصولية والعلمانية* (الإصدار 1). القاهرة: دار الثقافة.

يوسف، وائل إبراهيم الدسوقي. (2007). *الماسونية في العالم العربي المبادئ-الأصول- الأسرار* (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Kessler, G. (2023). *Biden yet again says Hamas beheaded bibies has new evidenc emerged?* The Washington Post.

Kirby, P. (2023). *Israel faces long,difficult war*. BBC New.



An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**ANTI-ARAB BIAS IN AMERICAN CINEMA:
CASE STUDIES OF "AMERICAN SNIPER"
AND "THE OLD GUARD"**

By
Arin Yousef Abdul Karim Salama

Supervisor
Dr. Adwan Nimer Adwan

**This Thesis is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies,
An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

2024

ANTI-ARAB BIAS IN AMERICAN CINEMA: CASE STUDIES OF "AMERICAN SNIPER" AND "THE OLD GUARD"

By
Arin Yousef Abdul Karim Salama
Supervisor
Dr. Adwan Nimer Adwan

Abstract

This study seeks to elucidate the concept of bias as it pertains to language and terminology, investigate its objectives and mechanisms, delineate its areas of influence and implications for everyday life, and assess its impact on various societies. Furthermore, the study concentrates on the manifestations of bias, examining both visual and verbal forms as presented in the films "American Sniper" and "The Old Guard" as case studies.

The significance of this study is rooted in its aim to elucidate the inherent biases against Arabs and Muslims that are prevalent in films produced in Western contexts. The researcher has organized the thesis into an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion. In the introduction, the researcher articulates the rationale for selecting the topic, formulates the central questions to be addressed, underscores the importance of the study, and offers summaries of the two films: "American Sniper" and "The Old Guard." Additionally, the researcher delineates the study's methodology, identifies key sources, and presents recommendations.

The researcher initiates the introduction by articulating the concept of bias from both linguistic and terminological perspectives, while also addressing its various forms and underlying causes. In the first chapter, the researcher conducts a thorough analysis of bias across multiple domains, including economic, religious, political, intellectual, linguistic, cinematic, and cultural contexts. Each domain is explored in depth, with recommendations provided for the mitigation and reduction of bias. The second chapter concentrates on the visual and verbal representations in these films that illustrate the diverse forms and manifestations of bias. The study concludes with a presentation of the findings, summarizing key recommendations and fostering an extensive discussion for future researchers.

Keywords: anti-Arab bias, American cinema, film analysis, stereotypes, prejudice, cultural studies, media studies, Middle East